جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



شبهات الحداثيين
حول معجزة القرآن الكريم

"دراسة عقدية"

إعداد الدكتورة

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة و الفلسفة - كلية الدراسات الإسلامية
والعربية – المنصورة - جامعة الأزهر- مصر

شبهات الحداثيين حول معجزة القرآن الكريم
"دراسة عقدية"

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة و الفلسفة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية – المنصورة - جامعة الأزهر- مصر

البريد الالكتروني: NaderMahmoud11838.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

القرآن الكريم كلام الله بلفظه ومعناه، وهو الأمر الذي نتمسك به، ونلقى عليه الله، بينما الحداثيون الذين بعدوا عن دين الإسلام، وهم يحملون أسماء إسلامية حاولوا الإتيان بشبهات ظنوها تبطل حجية القرآن الكريم من الناحية العقدية، ولأنهم حداثيون استعملوا عقولهم فيما لا يجب استعماله بشأنها فتعرضوا لتعريف القرآن وتسمياته بما لا يليق، فكان الرد عليهم بما تنتهي معه شبهاتهم، ثم لجأوا إلى إحياء شبهات قديمة وغيروا فيها؛ فكان الحاصل هو ما وقع لسابقيهم.

ثم ذكروا شبهات حول كتابة القرآن وتدوينه، وأنكروا الحقائق، وزيفوا في المقولات، فتم عرضها ومناقشتها حتى بان فسادها.

غير أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، وإنما لجأوا إلى جوانب أخرى كان من الضروري عرضها، وبيان فسادها من النواحي العلمية والتاريخية.

لقد زعموا تاريخية القرآن وعدم جدواه في الوقت الحاضر، وزعموا أن كتابته لم تتم إلا في القرن الرابع، وفرقوا بين ما أطلقوا عليه اسم القرآن الشفوي، والمصحف التحريري، وقد قصدوا بذلك الطعن علي

القرآن من كافة النواحي، وقد ارتد طعنهم إليهم من خلال التاريخ الذي اعتمدوا عليه.

لقد أنكروا الحقائق الإلهية، وبحثوا عن أهواء شياطين إنسانية تمسكوا بها وأذاعوها علي نبي خير البرية، ورد الله عليهم سهامهم إلي نحورهم، فصاروا أكذوبة تاريخية دالة علي جهلهم باستخدام أقيسة فاسدة، والتشبع بأحكام سبقيه فيها العداء على الإسلام دين رب البرية، بجانب خلطهم بين ما يتعلق بالوحي الإلهي وما يجئ به من قواعد إلهية، بجانب إسقاطهم الأحكام التي قررها اليهود والنصارى بشأن كتابة كتبهم، واعتبروا ذلك مما يطبق على القرآن الكريم حتى يصلوا إلي غايتهم وهى الاستغناء عن كلام الله، والتمسك بكلام ما سواه.

ثم إن هؤلاء تابعوا المستشرقين في عدائهم للإسلام دينا، ومصادر، ورجالا، فجمعوا بين عناصر مختلفة دالة علي أنهم يئسوا من رحمة الله، وقد رد القرآن عليهم بعبارة معجزة مبينا أن القرآن منزلا من عند الله وأن الحافظ له هو الله وسوف يظل الذكر محفوظا في قلوب المؤمنين وعقولهم لان فيه الشفاء والرحمة، وزيادة الخير، والله غالب علي أمره، والحمد لله.

الكلمات المفتاحية: (الحداثة – الحداثي – الشبهة – المعجزة القرآنية – الحقائق الإلهية).

Modernist misconceptions about the miracle of the Holy Qur’an

Dr. Nadra Hassan Abdel-Gawad Mahmoud
Department of Faith and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Mansoura, Al-Azhar University, Egypt
E Mail: NaderMahmoud11838.el@azhar.edu.eg

Abstract

The Holly Qur’an is the word of God, in both form and content, which is something that we adhere to, and we shall believe in this till the end of our worldly life and being resurrected. However, the modernists who went away from the right path of Islamic religion, holding Islamic names, tried to come up with misconceptions that they thought invalidate the authenticity of the Holy Qur’an dogmatically, and because they are modernists who used their minds in what should not be used in relation to such dogma. Whereas, they tackled defining the Qur’an and its names inappropriately, but the Islamic scholars responded to their misconceptions, then they resorted to reviving and rephrasing old misconceptions, but again the Islamic scholars responded to their rephrased misconceptions.

Afterwards, they mentioned misconceptions regarding the writing and keeping a record of Qur’an, as they denied the facts, and misquoted statements out of context, but the Islamic scholars addressed misconceptions, misquotations and misstatements and succeeded in proving the same invalid and deficient.

However, they did not stop to that limit, but resorted to other aspects that were necessary for the Islamic scholars to tackle and explain the deficiency of their misconceptions, scientifically and historically.

They claimed that Qur’an is old-fashioned and that it is useless at the present time. They claimed that it was only

written in the fourth century, and they differentiated between what they called the oral Qur'an and the written Qur'an. In that way, they intended to challenge the Qur'an in all respects, and their challenge was inapposite, as the history they relied on was proven to be false.

They denied the divine facts, and searched for, held on to, and spread some human demons' misopinions on the Prophet, the best human in the world ever. Yet, some Islamic scholar came up to counter-challenge such misopinions, till such demons were declared historically to be ignorant deep-liars, as they used invalid inferences, relied on prejudiced viewpoints against Islam, the only [true] religion in the sight of God, mixed between what is related to the divine revelation and the divine rules that come with it, tried to prove that the unenforcement of some rulings as decided by the Jews and Christians regarding their books, is just as applicable to the Holy Qur'an, so as to reach their goal of dispensing with the words of God and adhering to the words of the least knowing of people whomsoever.

Moreover, those modernists followed the steps of the orientalists in the latter's' hostility to Islam religion, sources, and scholars, as they combined different elements indicating that they had given up on the mercy of God. Qur'an responded to them with categorical words, as Qur'an was revealed from God and that He will assuredly guard it (from corruption). The Reminder (Qur'an) will remain preserved in the hearts and minds of the believers, because Qur'an is a healing and a mercy to those who believe, and it increases them in faith, and Allah has full power and control over His affairs; but most among mankind know it not. This said, and all praise shall exclusively be due to Allah alone.
Key Words: Modernity – Modernist – Misconception - The Quranic Miracle - Divine Facts.





مُقَدِّمَة

الحمد لله ختم النبوات والرسالات بالنبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ)، قال تعالي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل القرآن الكريم مهيمناً علي ما سبق وشفاء ورحمة للمؤمنين، قال تعالي: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، بين أن الله (سبحانه وتعالى) منحه القرآن الكريم، والسنة المطهرة ليبقيا مصدر الأمان للأمة حتى يوم الدين، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال: (رسول الله (ﷺ) تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه (ﷺ)).(٣)

اللهم صلي وسلم وبارك علي الحبيب المصطفي، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وأصحابه الطيبين وآل بيته الطاهرين، والعلماء العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٢).

(٣) الإمام مالك "الموطأ" ج٢ ص٨٩٩ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم (١٥٩٤) ط دار إحياء التراث العربي تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقال الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه ج١ ص١٣ اسناده حسن.

أما بعد،،

فإن الله تعالي أنزل القرآن الكريم هداية ورعايـــة يحمـــل للنـــاس العقيـــدة الصحيحة، ويهديهم إلي صراط الله المستقيم، كما يعينهم علي مصـــالح دنيـــاهم ويفتح الباب لسعادتهم في أخراهم، قال تعالي:﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[١].

وقد حفظ الزمان هذا الامتياز للقرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة، بحفظ الله تعالي المشار إليه بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٢].

وكلما مرت أحداث الزمان لم يتمكن أحد النيل من القرآن الكريم، وكل مـــن حاول ارتدت سهامه إلي صدره، فكشف زيفه وضلاله وسخر العقلاء منه[٣]

ثم نبتت نابتة أقرب ما يكون إلي شائكة الطريق، فلا هم علي العقيدة الإلهيـــة استقاموا، ولا من العلم الصحيح اغترفوا، بل ولا علي قواعد المـــنهج البحثـــي الصحيح ساروا، وقد انتشر هؤلاء يبثون سمومهم باسم العلم، ويكفـــرون بـــالله وكتبه ورسله باسم الحداثة، وما ذكروه إلا شبهات أخذت عقولهم وانتزعت منها الفطرة الإيمانية، وصاروا تحت سيطرة قرنائهم من شياطين الإنس والجن قـــال تعالي: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٤].

ولما كان الباحث المسلم معني بتقرير عقيدته الإسلامية الصحيحة على وجه سليم والدفاع عنها، بكل وسيلة مشروعة، فقد بات من الضروري النظـــر إلـــي

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) هذه إشارة إلي المحاولات التي قام بها أصحابها للإتيان بمثل القرآن الكريم ولو في قليل منه، وقد فشلت جميعها ووقع أصحابها فيما وقعوا فيه.

(٤) سورة الزخرف الآية (٣٦).

شبهات هؤلاء الحداثيين حول معجزة القرآن الكريم، وبيان أن تلك الشبهات لا تستقيم علي قاعدة صحيحة، وسوف يدور هذا البحث في مقدمة وعدة مباحث أما المقدمة فإنها يجئ فيها كل من

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

من البين أن أسباب اختيار الموضوع تجئ في جانبين:

(أ) الأسباب الداخلية (الذاتية)[1] وتدور في:

١- أن البحث في القرآن الكريم، والأخذ منه يمثل ركيزة إيمانية لكل باحث مسلم، إنه ميراث الله تعالي لعباده المؤمنين، وكل مسلم يتمسك به، أو يروى عقله وقلبه به.

٢- أن تناول ما يتعلق بالقرآن الكريم من حيث قداسته وعصمته يمثل أساساً من أسس العقيدة الإيمانية، ولا يكون المرء مؤمنا إلا إذا تكاملت هذه كلها في عقله الواعي، ومتى اطمأن قلبه، فإنه يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة.

٣- أن رعاية قواعد الإيمان تستلزم قيام المرء المؤمن بتقريرها علي الدوام وتدفعه من داخله إلي دفع أية محاولة للنيل منها، وبخاصة ما يتلون به اللئام ويسعي إلي القيام به الطغام.

٤- أن شعوري بأثر هذه العقيدة الإيمانية بقلبي، وعقلي وسريان ذلك بوجداني يمثل طاقة إيجابية تقودني إلي ضرورة أن يبقي النقاء الإلهي، ونور الإحكام الرباني بعيداً عن وتأويلات المجادلين، وافتراءات المفترين، والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) الأسباب الذاتية وهى التي تقوم في عقل الباحث وضميره، وتلتمس مثاربها بجنبات فؤاده، وبالتالي تمثل ضغطا على عقله الواعي لابد له من التعبير عنه.

(ب) الأسباب الخارجية (الموضوعية)، وتدور في:

١- أن ما يبثه الحداثيون من شبهات حول دين الإسلام ومصادره الأساسية- القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة- إن هي إلا معلبات فاسدة أفرغ فيها أصحاب الفكر الوثني ما هتفت به شياطينهم، وبالتالي فهي شبهات قديمة قال بها الملحدون، ويحاول الحداثيون اعادتها من سلال الزمن العفنة إلي تاريخنا المعاصر، وبيان ذلك والرد عليه، واجب تفرضه مناهج البحث العلمي المعاصر.

٢- أن الحداثيين في الغرب قاموا علي فكرة التنوير التي رأوا أنهم بها يستردون ثأرهم من الكنيسة ورجالها في العصور المظلمة، فلما جاء حداثيو العرب يحاولون إسقاط تلك المسائل علي دين الإسلام فقد بخسوا الكيل وخالفوا المنهج، ولابد من ردهم عن غيهم، وبيان فاسد بحثهم ونتائجهم.

٣- أن إبعاد القرآن الكريم عن الهدى الإلهي فيه خروج علي قواعد البحث العلمي، وإحياء لتوجهات فاسدة حكي القرآن الكريم عنها وجريانها علي ألسنة الكافرين، فقال تعالي: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[1]، والمسلم الذي جعله الله تعالى من دارسي العقيدة الإسلامية وجب عليه الدفاع عنها بجانب الحفاظ على مصادرها، وطرق الاستدلال بها.

٤- أن شبهات الحداثيين حول القرآن الكريم بغرض إبعاده عن كونه معجزة إلهية، واستعمال مفردات وتراكيب اصطنعوها تعبر عن الواقع الذي يعيشون فيه، والوهم الذي يحاولون تطبيقه بالنسبة للقرآن الكريم، ومنها قولهم بتاريخية القرآن والاقتباس من الكتب القديمة وانخرام الوحدة النصية، والسعي لوجود شبهات زعموها فاصلة بين القرآن الشفوي والمصحف المدون لدليل علي

---

(١) سورة فصلت الآية (٢٦).

خروجهم عن مقتضي العقل السليم، وهذا يستوجب ردهم إلـي الحقيقـة التـي يجهلونها، وهي أن القرآن الكريم شاهد لنفسه بصحته وسلامته وقداسته، كل ما في الأمر أن هؤلاء يصارعون في سبيل البقاء، ولن يكون موقفهم سوي القشـة التي قصمت ظهر البعير.

٥- أن الشبهات التي يبثها الحداثيون في العصر الحاضر مستخدمين تراكيب لا علاقة لها بالنحو المعرفي بغية الهاء العامة، وخداع بعض المتعلمين تكشـف عن قصورهم المعرفي، وضلالهم العقدي، ومنها إطلاق تراكيب غريبـة علـى القرآن، وأوصاف لا يصح أن تنسب إليه كالتبعثر الفكري، واسـتعجام القـرآن والمدونة المغلقة إلي غير ذلك، والمؤكد أن هذه وأمثالها قد سيقت سـلفاً علـي نحو ما، وأبطلها علماء المسلمين كل في مجال تخصصه قديماً وحديثاً، فالرازي في كتابة الإشارة تناول شيئا من ذلك، وفي أساس التقديس، ومـن قبلـه فعـل الباقلاني في التمهيد، والسبتي في المراشد، وحديثاً بـرزت كتابـات متنوعـة، ورسائل جامعية وأبحاث علمية، وبالتالي فلابد من قيامي بمساندة أهـل العلـم المعاصرين، والاستفادة مما كتبه شيوخنا في الماضي والحاضر؛ لأننـا جميعـاً مستخلفون عن الله ورسوله في الدفاع عن العقيدة الإلهيـة، ومصـادرها التـي جعلها الله تعالي لنا هداية ورحمة.

ثانيا: أهمية البحث:

تدور أهمية البحث علي جوانب متنوعة منها:

١- ما يتعلق برد الفكر الفاسد وبيان المصدر الذي اعتمد عليه، حتى لا يخـتلط بالفكر الذي التف حوله المسلمون قديماً وحديثاً، وعلي هديه نهضت الحضارة.

٢- أن الذين تناولوا القرآن الكريم علي غير وجهه الصحيح إنما يتجـاهلون قداسته ومكانته في قلوب المؤمنين به وعقولهم بجانـب أحكامـه وتشـريعاته

وأخلاقه، وهذا يؤدي إلي فتنة بين المؤمنين وغيرهم، وصراع لا يمكن معرفة متى ينتهي، وتلك مشكلة يجب أن توضع لها حلول علمية وحسابات دقيقة.

٣- أن الذين دعوا إلي محاكمة النص القرآني، والتعامل معه كأي نص آخر يتجاهلون إعجازه(١)، ووجوه إعجازه، ويغفلون عن حقيقته، ومن المهم دفع هؤلاء عن طريق أبحاث علمية هادفة حيث قد فرضت المعركة من جانب الآخر، ولابد من مواجهتها مهما كانت التضحيات.

٤- أن الحداثيين العرب بهذا التصرف الغريب إنما يعكسون صورة الجهل الذي يعيشون فيها لأنهم يعملون علي القطيعة المعرفية، بينهم والمصدر الصحيح حينما يزعمون أن القرآن الكريم إنما يعكس واقع العرب زمن نزوله، وأحكامه لا تصلح لكل زمان ومكان، وهذا في حد ذاته خروج عن القواعد الصحيحة، ومحاولة للانفلات عن الأحكام الشرعية، ومن ثم فإن دور هذا البحث هو مناقشة تلك الشبهات، وبيان وجوه فسادها.

ثالثا: أهداف البحث:

تتعدد أهداف البحث بتعدد الشبهات التي سيتم تناولها، وبيان فسادها، ومن أبرزها:

١- دراسة ظاهرة الحداثة وارتباطها بجذور أفكار الحادية سابقة ومعاصرة وتضمينها معلومات فاسدة، ثم بيان طرائق دفعها.

(١) المراد بإعجازه ما أشار إليه الإمام السعد التفتازاني في كتابه مقاصد الطالبين من حيث ذكر أن الإعجاز هو المقام الأول من المقامات الثلاثة، وان ذلك الإعجاز هو تحدى بالقرآن الكريم الإتيان بمثله أولا، أو الإتيان بمثل عشر سور من مثله ثانيا، او الإتيان بمثل سورة من مثله ثالثا ج٢، ص١٨٣، طبعة الحاج محرم البوسنوى، النسخة الحجرية، وبهامشه متن المقاصد.

٢- الكشف عن الأسس الفكرية التي قامت عليها الحداثة، وبيان الاقتباسات التي أخذتها، والألبان الفاسدة التي سعوا إليها، وامتصوها، فذلك أمر تفرضه الدراسة.

٣- الإرشاد عن الغايات التي دفعتهم إلي تبني مخاصمة القرآن الكريم، والعقيدة الإلهية، وبخاصة أنهم يبثون في كثير من مناحيهم ما ردده المستشرقون من أصحاب الوثنيات المتعددة قديماً، وأعادوا صياغتها حديثاً، وكشف ذلك هدف أصيل من أهداف البحث.

٤- التركيز علي المصادر التي استقي منها الحداثيون أفكارهم واعتبروها أرصدة لهم، ثم وقوعهم بين أحضان المستشرقين ذوي الفكر المتطرف، واعتناقهم ما يقوله هؤلاء، واعتباره أمراً أصيلاً قائماً علي أصول علمية، وهل بعد زعمهم أن القرآن منتج ثقافي تشكل في واقع مضي، قولا يمكن أن ينصت إليه أحد، أو يقبله صاحب عقل سليم.

٥- مناقشة الآراء التي تدور في ثنايا هذا البحث ونقدها، حتى لا يقع الأغرار في حبائل هؤلاء الذين يعبثون بالفكر، ويتلاعبون بالألفاظ، ويحاولون القدح في الدين الإسلامي عمومه وعالميته.

رابعا: مشكلات الدراسة:

تدور مشكلات الدراسة في جوانب متعددة منها:

١- ما يتعلق بوجود أسئلة يحول الحداثيون إعادة طرحها من جديد.

٢- ما يتعلق بإطارات معرفية، واستعمالات متنوعة أجادوا التلاعب بها.

٣- ما يتعلق بأحكام يحاول الحداثيون التخلص منها، ومن ثم فلابد أن تتناول الدراسة الإجابة على الأسئلة التي تدور حول التعريف المركز بكل من: الحداثة، الحداثيين، ثم الكشف عن الشكل الذي يبرز فيه الفكر الحداثي، ويمكن التعامل معه من خلالها.

٤- إذا كان الفكر الحداثي له أصول فما هي؟ وهل لها ثبات في المنهج العلمي؟ وهل يؤدي التمسك بها إلي نتائج صحيحة، أم أنها أوهام صاغها عن أصحابها على التراكيب اللغوية المهملة، واعتبروها مفيدة، فقلبوا الأوضاع، وسعوا من خلال ذلك إلي الطعن في الأصل الإسلامي والمنهج الصحيح، والسؤال الآن هل نجح هؤلاء فيما قاموا به؟ وهل هم أصحاب تجديد أم طعن وتبديد؟ تلك مشكلات متنوعة، وأسئلة تحتاج الرد عليها، وهو ما سوف أحاول التعرض له إن شاء الله تعالي في ثنايا هذا البحث.

خامسا: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث علي أربعة مناهج كل حسب موقعه من الشبهات المعروضة وهى:

١- المنهج التقريري الذي يعتمد علي عرض الآراء التي قال بها الحداثيون من مؤلفاتهم بحيث لا يستطيع أحد التشكيك فيها.

٢- المنهج التحليلي الذي يعتمد علي رصد الشبهات التي قالوا بها، ثم تحليلها إلي عناصر وجزئيات، ودراسة كل واحدة منها بما يقتضه المقام، ويستلزمه الحال.

٣- المنهج النقدي، حيث اعتمد فيه علي الأصول والقواعد العلمية التي قامت علي أحكام العقل الضرورية، والتزام قواعد المنهج العلمي الذي يخرج عن التجريح إلي التوضيح، فالكلمة الطيبة صدقة، ومنهج البحث القائم علي العدل الإلهي هو الذي أعول عليه.

٤- منهج الترجيح وهو الذي ينتهي إلي أن القرآن الكريم معجزة خالدة في مفرداته وآياته، في أخباره، وأسراره، وأحكامه، بل في كل ما تعرض له إنه كتاب الله الباقي وسيظل إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، والله غالب علي أمره.

سادسا: مكونات الدراسة:

- **مقدمة**
- **الفصل الأول:** تحديد المفاهيم: (الحداثة – الحداثيون – الشبهات – المعجزة القرآنية).
- **الفصل الثاني:** شبهاتهم حول تعريف القرآن الكريم وتسمياته.
- **الفصل الثالث:** شبهاتهم حول كتابة القرآن الكريم وتدوينه.
- **الخاتمة وتتضمن أولا:** أهم النتائج – ثانيا: أبرز التوصيات – ثالثا أهم المقترحات.
- **ثم قائمة المصادر، وأخيرا الفهرس العام.**

الفصل الأول

تحديــد المفاهيم

- الحداثــة.
- الحداثــي.
- الشبــهة.
- المعجـزة الـقرآنيــة.



تعتبر عملية تحديد المفاهيم المتداولة في أي بحث علمي بمثابة القواعد اللغوية التي تحتكم فيها إلي معني واضح محدد من الناحية الوظيفية، علي أساس أن كل لفظ لغوي له معان متنوعة فإذا لم يتم تحديد المعني المراد ربما ضل البحث طريقه، ومن هنا عني علماؤنا الأوائل بتحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات من الناحية المناهجية(١).

وقد نبه الشيخ عبد الرحمن بن عيسي الهمذاني (ت٣٢٧هـ) إلي أن "اللفظ زينة المعني، والمعني عماد اللفظ، ولا تمام في لفظ سخف معناه، ولا في معني اختل لفظه" (٢) كما نبه غيره إلى أن الألفاظ أثواب المعاني، وكل لفظ يجمع معان متعددة الدلالة متنوعة الغاية.

وبناءً عليه فإني سأتناول تحديد المفاهيم الواردة في عنوان هذه الدراسة علي النحو التالي:

(١) من الشواهد عليه أن المؤلفات في أداب البحث والمناظرة قامت بهذا الجانب خير قيام، فما من لفظ ذكرته إلا عرفت به ضاق التعريف أو اتسع، ويمكن إدراك ذلك في الرسالة الرشيدية علي شرح الرسالة الشريفية للشيخ: عبد الرشيد الجونغوري، ومنها كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة للصاحبي محي الدين يوسف بن الجوري الحفيظي ط١، وكذلك الشيخ: محمد محي الدين في كتابه في أدب البحث والمناظرة، والدكتور عبد المتعال الصعيدي وكثير غيرهم.

(٢) الشيخ: عبد الرحمن بن عيسي الهمذاني كتاب الألفاظ ص١٦٣ تحقيق: وتعليق وتقديم د. البدراوي زهران ط٣ دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٩م.

الأول: لفظ الحداثة:

وردت مادة الكلمة بجزرها الصرفي (ح. د. ث) في القرآن الكــريم حــوالي ثمان وأربعين مرة، منها قــول تعالي: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْـدِثَ لَـكَ مِنْهُ ذِكْـرًا ﴾[١]، وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ببيان مواضعها من السور والآيات القرآنية[٢].

كذلك وردت مادة الكلمة في لغة العرب علي معان منها:

الابتداع، والأمر الجديد، والتعاهد، بجانب التجديد، إلي غير ذلك من الوجوه الدالة علي أن جزر الكلمة الصرفي له أصل لغوي، يمكــن الرجــوع إليــه[٣]، فالحداثة علي هذا المعني اللغوي أمر لم يكن له وجود سابق، وبالتالي فهي مــن هذا المعني أقرب إلي دلالة لفظ البدعة من الناحيــة اللغويــة، علــي الجانــب التوظيفي[٤].

ولما كانت الحداثة هي المراد تعريفها من الناحية الاصطلاحية فمن المناسب بيان أن لفظ الحداثة توجد حوله اتجاهات ثلاثة، كل واحد منها يقدم للفظ الحداثة تعريفاً اصطلاحياً على ناحية بذاتها التقط منها:

---

(١) سورة الكهف الآية (٧٠).

(٢) راجع أ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف باب الحاء ص٢٣٨-٢٣٩ ط١ دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) راجع في هذا المعني المعجم الوسيط ج١ باب الحاء ص١٦٦-١٦٧ ط٣ مجمــع اللغــة العربية بالقاهرة.

(٤) تطلق البدعة في اللغة علي الشيء الذي لم يكن ثم كان، وبالتالي فقد تتلاقي مــع لفــظ الحداثة من الناحية الاستعمالية.

(أ) لدي منشئيها في الغرب:

لما كانت كلمة الحداثة واستعمالاتها الوظيفية بدأت أولاً في الغـرب، كتيـار يرفض الكنيسة وتعاليمها، فقد ذهب القائلون بها من الغربيين مـذاهب متعـددة يرتبط كل منها بتعريف اصطلاحي:

من ذلك ما ذهب إليه كل من ماركس، وفايبر، ودوركاهايم من أن الحداثـة: "جسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسـق صـناعي مـنظم وآمـن، وكلاهما يقوم علي أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات.[١]

وهو تعريف صاغه حداثيو الغرب علي ناحية قصدوا بها التركيز في الفكرة الأساسية التي تقوم الحداثة فيها لديهم، ومن المعلوم لدي حداثي الغـرب أنهـم أقاموها علي فكرتين الأولي: فكرة الثورة ضد التقليد، والثانية فكـرة مركزيـة العقل، بحيث لا يكون هناك سلطان في حياة الإنسان لغير العقل.

ومن ثم قام هذا التعريف علي بيان ما تمتاز به الحداثة لدي أصحابها، حيـث تقوم بعمليتين في وقت واحد:

الأولـي: التي يتم الكشف فيها عن المنطق الخاطئ المضلل، بحيـث يمكـن التخلي عنه واعتباره كأن لم يكن، مع توجيه النقد المتواصل إليه، وهي عبـارة فضفاضة لا تحدد معيار المنطق الذي وصف بأنه خاطئ مضلل، ويعتقد جورج واطسن أن الحداثة هي: اللحظات التي يتم فيها الكشف عـن منطـق خـاطئ مضلل، وإبداع منطق جديد.[٢]

---

(١) علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص٩٦ مجلة فكـر ونقـد، المغرب العدد (٤٣) نوفمبر ٢٠٠١م.

(٢) جورج واطسن، الحداثة منطوق حداثي، ص١٥، ترجمة أنور مغيث، مكتبـة المعصـر بالمغرب الرباط ١٩٩٣م.

الثانية: عملية إبداع منطق جديد ترتضيه الفلسفة التي أعلنت حملها مشـاعل التنوير في مواجهة الكنيسة التي تعيش عصر الظلمات.

ويستشهدون علي المسألة الثانية بفلسفة كانت النقدية التحليلية، ومثالية هيجل الكلية، ومادية ماركس الجدلية، وظواهرية هوسرل التأويليـة، وبنيويـة فوكـو التفكيكية.(١)

ومن البين أن الغربيين الذين رفعوا راية الاعتراض علي سلطة الكنيسة قـد أقاموا أنفسهم فوقها حتى يكون التنوير الذي يزعمونه في مقابل الظـلام الـذي تعيش فيه الكنيسة منذ عصورها المتعددة.

كما عرفت بأنها: "الأنوار التي يخرج بها الإنسان من حالة الوصـاية التـي تتمثل في استخدام فكرة دون توجيه من غيره"(٢)، اللهم إلا أن يكون هذا الغيـر هو صاحب العقل السليم من كافة نواحيه، وبناء عليه فإن الحداثة لـدي هـؤلاء تعنى سلم النجاة، أو طريق امتلاك الإنسان حريته بعيداً عن قيود الآخـرين(٣)، ويركزون في كل أعمالهم علي أن التنوير أو الحداثة منطقهم الأصلي ومنطلقهم

---

(١) بومدين بوزيد الفكر العربي المعاصر وإشكالية الحداثة، بحث ضـمن قضـايا التنـوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، ص٢١، العدد (١٨) طبعة بيروت ضمن مركـز دراسات الوحدة العربية.

(٢) علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص١١، مجلة فكـر ونقـد، المغرب العدد (٣٤) من موقع محمد عابد الجابري.

(٣) الحداثيون يرفضون كل ما هو مقدس من النصوص، وحجة الغربيين أن الكتاب المقدس بقسميه – العهد القديم، والعهد الجديد– ألفه وكتبه أفراد كلهم أصحاب خطايا، ويعتقدون بذلك..... في نقده، وإعلان أخطائه بل والثورة عليه. راجع ليوتا كسل التورات كتـاب مقدس أم جمع من الأساطير، وقد أفرد فيه المستشرق جميع الجوانب التي يريد إفشاءها، ترجمة د. حسان مخائيل مطبعة الأسد ١٩٨٩م.

هو الحرية، بمعني أن العقل يجب أن يتحرر تماماً من سلطة المقدس، ورجـال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل كما يزعمون.

بل يذهب هؤلاء إلي أكثر من ذلك، وهو ضرورة التخلي عن كل ما يـربط الإنسان بجانب غيبي، وتلك مسألة غاية في الخطورة بالنسـبة للإنسـان الـذي يعيش علي هذه البسيطة، والأكثر خطورة من ذلك هـو إعلانهـم " ضـرورة استبدال فكرة الله، بفكرة العلم، واقتصار الاعتقادات الدينية علي الحياة الخاصـة بكل فرد"[١] بحيث يكون حراً في اختيار الإله الذي يعبده.

ولا يغيبن عن ذي بال أن الحداثة التي نادي بها الغرب هي اتجاه يسير ضد الله، وضد الغيب، وضد المطلق، و لا تتحقق في الواقع إلا بعزل الـدين عـن شئون الحياة العامة، واعتبار كل فرد صاحب حق في اختار شئونه الخاصة

(ب) عند مردديها في بلاد الإسلام:

الذين يعتقدون صحة الغرب في كل ما يقولونه وما يخرج من عقـولهم، أو تنشئة أفكارهم أو تنقله مفرداتهم، اعتنقوا جميع أفكـاره، وتمسـكوا بمعتقداتـه، واعتبروا أنفسهم يتكاملون بهم، ورفعوا راية زائفة أطلقوا عليها أسماء التنـوير، والحداثة، والحرية[٢]

وسوف التقط بعض تعريفات الحداثة لديهم علي النحو التالي:

---

(١) علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ص١٦.

(٢) من ملامح ذلك ما يردده البعض علي سبيل التفاخر بأنه حداثي، ويتناسـى أن حداثيتـه علي المعني الذي حفظه عن الغرب تخرجه عن دين الله تعالي، أما لماذا؟ فلأن الحداثـة التي قال بها الغربيون تعني الخروج عن الدين الإلهي وأحكامه، ويعتبر نصر حامد أبـو زيد أحد النماذج التي لا يمكن للعقل المسلم أن ينساها، أو ينسي ما قاموا به من طعـن في الدين، وإنكار لما جاء من عند الله تعالي، وكذلك محمد أركون، وأمينة ودود، وهاشم صالح، بجانب خالدة سعيد وغيرهم.

١- إعادة النظر في المراجع الثابتة، والأدوات، والقيم والمعايير التي لابد منها"؟[١] بغرض التخلي عن كل ما يخالف العقل، ولئن كان المراد مجرد إعادة النظر لاستخراج ما لا يصلح، والتمسك بما هو حق، فإن ذلك لم يكن واردا عندهم، بدليل خروجهم علي مثل هذه القاعدة، وتمسكهم بأن إعادة النظر لا تقتصر علي المراجع الإنسانية، وإنما جميع المصادر، وهذا يمثل خطورة علي القرآن الكريم، المعجزة الخالدة، وخطورة أخري علي كتب السنة الصحيحة المطهرة.

٢- "الصراع بين النظام القائم علي السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام"[٢]. و من ثم فالحداثة لا تعني المسالمة، ولا تقبل الدعوة بالحسنى، وإنما تقوم في الأساس علي عملية الصراع المترتب عليه ضرورة تغير الأنظمة الثابتة، وذلك من شأنه تدمير الحياة، وإحداث خلل في الوظائف المجتمعية[٣].

٣- "حالة الخروج من التقاليد، وحالة تجديد، تتحدد بها في علاقاتها التناقضية مع ما يسمي بالتقليد، أو التراث أو الماضي."[٤] وإذا كان هؤلاء يعلنون صراحة تخلصهم من التراث بكل ما فيه دون استثناء، والعودة إلي العقل وحده من غير ضوابط، فماذا يمكن أن ننتظر منهم.

---

(١) خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول المجلد الرابع العدد الثالث ص٢٦، ١٩٨٤م.

(٢) د.عوض القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، ص٨، ط١، دار الأندلس الخضراء بالسعودية، وقد نقله عن الثابت والمتحول لأدونيس.

(٣) هذا الخلل يبدو واضحا عند القفز علي الأصول الثابتة، ولذا فمن الضروري التنبيه إلي خطر الحداثيين، والضرب علي أيديهم، بغض النظر عن كونهم عرباً، أو عجماً لأن النتيجة واحدة.

(٤) علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص٣.

٤- "حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل، وتسوده العقلانية"[(١)]، وهي بهـذا المعني تمثل حالة من الانفصام في شخصية من يعتقدها، وتعبر في ذات الوقت عن رغبة دفينة في التخلص من الغيبيات التي يجب التزامها والتمسك بها.

ولا شك أن تعريفات الحداثة في بلاد الإسلام لا تختلف كثيـراً عنهـا لـدي الغرب، وبخاصة عندما ننظر فيما كتبه الغربيون، ونطابق بينه وبين مـا كتبـه الآخرون في بلاد الإسلام، إنهم يتجاهلون كيفية دخـول الحداثـة إلـي بـلاد المسلمين، والحق أنها تسللت إليهم تحت مسميات براقة، أخفت حقيقة ما تـدعو إليه وتنادي به، وهو الخروج علي دين الإسلام الـذي ارتضـاه الله للعـالمين، وقامت عليه الحضارة الإسلامية الزاهية التي غطت وجه الأرض بما لها مـن أنوار وتأثيرات لا يمكن التخلي عنها، أو إهمال القيام عليها.

القواسم المشتركة:

من البين أن مفهوم الحداثة لدي الغربيين، ومن يرددون أباطيلهم تجمع بينهم قواسم مشتركة أبرزها:-

١- ضرورة تنحية الدين الإلهي من وجوده الفعلي، وأثره في قلـوب أهـل الإيمان، ولما كان هذا معمولاً به لدي حداثي الغرب الـذين أرادوا الثـأر مـن السلطة الكنسية ورجالها، ونحوا الدين من طريقهم، فإن الاقتداء بهم لدي حداثي العرب والمسلمين يمثل جريمة كبرى وخروجا علي أصول الدين.

٢ – التخلص من القرآن الكريم، ونفي صفة القداسة عنه، فإذا كان حـداثيو الغرب قد نحوا كتابهم المقدس من طريقهم واعتبروه مجرد تـراث لـم تثبـت صحته، فإن حداثي العرب قد اعتبروا القرآن الكريم هوساً ميتافيزيقا، وحكمـوا

---

(١) محمد نصر أبراهيم، الحداثة مفهوم حداثي ص٣١ ط القاهرة ١٩٩٨م.

عليه بأنه خال من العقلانية، وهم في كل ما ذكروا، كذبوا يقول طيب تيزيني: "أن المقولة القائلة بأن القرآن صالح لكل زمان ومكان هوس ميتافيزيقي[١].

كما أن هذه الفكرة العدائية للقرآن الكريم، انتشرت لدي الحداثيين العرب بشكل واسع جداً، يؤكد ذلك أنهم قصدوا النيل من القرآن الكريم المصدر الأول والأساسي لدين المسلمين عقيدة وشريعة، وأخلاقا ومعاملات، قول محمد أركون: "إن حديث القرآن عن الحور العين هو حديث لا يعبر إلا عن عقلية ذكورية اغتصابيه جامحة إلي السيطرة"[٢].

وكثير من تلك الافتراءات يتشدق بها حداثيو العرب والمسلمين مقلدين حديثي الغرب الذين لم يتناولوا في كتاباتهم القرآن الكريم بطريقة مباشرة، وإنما كان مقصدهم هو كتابهم المقدس الذي بين أيديهم.

٣- أن منطلق الحداثة الغربية ومصدرها والفلسفة الخيالية أو العبثية والتصورات الغربية التي نشأت في بلادهم، لا علاقة لها بدين إلهي صحيح، والمؤكد أن حداثيي العرب يجرعون تلك المصادر ويتمسكون بها، ولا يخفون نزعتهم العدائية للمصدر الإلهي، يقول نصر حامد أبو زيد: "إن النص القرآني في حقيقته وجوهره والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد علي عشرين عاماً"[٣].

---

(١) طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص١١٥، ط١ دار الينابيع بيروت.

(٢) محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي ص٨٦ ط مركز الفكر الإيماني بيروت ط١ ١٩٨٦م.

(٣) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في مفهوم القرآن ص٢٤، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت.

وسوف أتناول شبهاتهم وبيان فسادها عندما أتعرض لها داخل هذا البحث، ولا يخفي أن فكرة القول بتاريخية القرآن الكريم من أبرز الشبهات والدعاوي التي يؤكد عليها حداثيو العرب، بجانب بعده في زعمهم عن منهج البحث العلمي، يقول هشام جعيط: "إن أهم شيء أتي به العلم الحديث بخصوص القرآن هو تورخته".[١] بحيث يبعده عن كونه كتاب الله الخالد.

وإذا كانت تلك القواسم بين حدثيي الغرب، وحداثي العرب مشتركة علي نحو ما فإن الذي يسيطر عليها اقتناع حديثي العرب والمسلمين بما يقوله أساتذتهم في الغرب اللادينيين، ومن هنا تتعدد المشكلات، وتحتاج الأطر التي يجب الوقوف عليها عند مناقشة الجانب الموضوعي من ذات الشبهات.

(ج) عند خصومها:

تعددت تعريفات الحداثة عند خصومهم باعتبار الحكم عليها تارة، وتوصيف الأحوال التي تقوم فيها تارة أخري، ثم النظر إلي النتائج المترتبة عليها من طريق ثالث، وسوف ألتقط بعض تلك التعريفات، وأشير إليها أو أعلق عليها، ومنها:

١- الحداثة تيار بعيد عن الواقع، يسعي أصحابه إلي القفز فوق الثوابت وذلك يؤدي إلي انهيار القيم الثابتة، والعقيدة الراسخة، وتحول الإنسان إلي آلة تفتقد وجود الفطرة وتنتهي إلي الهلكة[٢]. وهو تعريف منتزع من الأفكار التي يرددونها، والمبادئ التي يعتمدون عليها، ومن ثم فهو تعريف وصفي واستنتاجي معاً.

---

(١) هشام جعيط، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ص١٨٥ ط٢ دار الطليعة بيروت. ويتفق معه في هذا الزعم الحداثيون العرب، ومنهم محمد عابد، الجابري في كتابه مدخل للقرآن، ص٢٥٧، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط١ ٢٠٠٦م.

(٢) راجع د. محمود حسن طلبة، قراءات في الحداثة ص٢٨ ط القاهرة ١٩٩٨م.

٢- الحداثة اختراق لقاعدة السلام مع النفس، والعالم، وطرح الأسئلة القلقة[١]، التي لا تصل إلي إجابات نهائية بقدر ما يفتنها قلة التساؤل، وحمي البحث، والحداثة جرثومة القلق المتوتر وحمي الانفتاح[٢]، وهو تعريف وصفى لكل ما يدور بشأنها.

٣- الحداثة اتجاه في سياق المؤتمرات التي تعلن التنوير، وما هي إلا أعمال مرتبة تمثل العدوان علي الإسلام وأهله، وقد سبقها في هذا الشوط الشيوعية والوجودية والمستشرقون، وكلها تصاغ في الأروقة الصهيونية، والمجامع الصليبية[٣]، وغير خاف أن هذا التعريف قد أقيم في جوهره علي المترتب بالنسبة لأصحاب ذات التوجه، وإلا فإنه يوضع داخل إطار معرفي يدافع به عن الواقع.

من البين أن تلك التعريفات التي ذكرها خصوم الحداثيين تمثل جانباً قليلاً؛ لأن كل مسلم عندما يجد دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين، والقرآن الكريم والنبي الخاتم (ﷺ)، محل هجوم أو طعن فإنه لا يتوقف عن واجبه ويسعي لدفع هذه كلها عن الله وكتابه ورسوله، فذلك أول الوجبات الشرعية[٤].

---

(١) المراد بالقلقة هنا التعبير عن حال الحداثيين في مستوياتهم المتعددة، من حيث إنهم يعتبرون الإنسان مؤلهاً، وهو مركز الكون، وعقله هو الذي يجب أن يتم التعامل به، واعتباره فوق كافة النصوص الدينية.

(٢) د. عدنان علي رضي النحوي، تقويم نظرية الحداثة ص٣٨. وقد أحاله إلي مجلة فصول العدد الثالث، المجلد الرابع، ص٣٥، ط ١٩٨٤م.

(٣) راجع د. عدنان علي رضي النحوي، تقويم نظرية الحداثة ص٣٥ ط دار النحوي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ط١ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤) سوف أتناول الشبهات التي أثارها حداثيو العرب حول معجزة القرآن الكريم، وأذكر جهود مفكري المسلمين في الرد عليها، ومناقشاتها، وبيان فسادها، والله صاحب الفضل والمنة.

التعريف المرتضى:

الحداثة اتجاه عبثي يقوم علي التبعية والتقليد، ويهدف إلي القضاء علي النور الفطري الإيماني القلبي الذي يمثل الاعتقاد الصحيح للفـرد المسـلم الـواعي، ويسعي لإخراج العباد عن دين الإله جل علاه مستخدماً اللغة آلة له، والتأويلات الفاسدة أدوات يغير بها توجهاته، ومنهجه مترتب علي أهدافـه وغاياتـه التـي تنتهي للفوضى والعبثية، وافتقاد اليقين القلبي والمعرفي(١).

الثاني: لفظ الحداثي:

الحداثي هو من يعتقد ضرورة رفض التصورات القديمة التـي تقـوم علـي أساس دين طوباوي(٢)، كما يرفض الدين الإلهي عقيدة وشريعة وأخلاقا(٣)، بـل يعتقد وجوب أن تكون هناك قطيعة مع الغائية الدينية التقليدية، ومـع ضـرورة بناء مجتمع عقلاني لا يعترف بنصوص دين، ولا تصورات من هذا القبيل(٤).

---

(١) هذا التعريف تم اقتباسه من جملة التعريفات السابقة وغيرها بغية الاهتمام به علي ناحية من النواحي، تلك جهة، والجهة الثانية هي التقاط إشارات ربما تحتاج إيضـاحا فيقـدم البحث جانباً من هذا الإيضاح أو التوضيح.

(٢) الطوباوية: مصطلح ظهر في الفكر المسيحي ابتداء من القرن الثاني، ويعنـي التصـاق الفرد بيسوع الإله، والملائكة الطوباويون هم الذين يطوفون حول الرب في السـماوات العلا، ويقيمون بيته ينتظرون المختطفين من أبناء الرب إلي بيت أبيهم السماوي. دانتـي الليجبيري، الكوميديا الإلهية – المطهر– ص٢٧٠، ت وتقديم د. عبد الكريم عثمـان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م، وللقمص أنور جيد، البيت السـماوي، ص٤١، ٤٢، ط كنيسة المحبة ١٩٧٥م، وللقمص نجيب رؤوف، مع المسيح في البيت السماوي، ص١١٢، ط كنيسة شبرا ١٩٦٧م.

(٣) راجع د. حمدي عبيد، الحداثة، مقال بعنوان الحداثة في سلسلة الكترونيـة متخصصـة بشؤن الفرق من منظور أهل السنة (الراصد)العدد ٧٢، جمادي الأخرى ١٤٣٠هـ.

(٤) راجع د. أحمد محمد زيد، تيار الحداثة، المقال الثالث، ص١٣-١٤.

ولا يخفي أن الحداثيين كلهم علي هذا النحو، يستوي في ذلك حداثيو الغـرب الذين أعلنوا الثورة علي الدين الكنسي الذي له وجود في بلادهم، ورفعوا رايـة التنوير العقلي حتى تكون فـي مواجهـة السـلطان الـديني الكنسـي حسـب اعتقادهم(١).

كما يستوي فيها حداثيو العرب الذين قلدوا سابقيهم، وأخـذوا عـنهم، ولـم ينتبهوا إلي أن ما يدور لدي الآخر لا يصح أن يدور عندنا نحن المسـلمين؛ لأن الدين الإسلامي يدعو إلي العلم، ويحث عليه، ويعلي مـن شـأنه، وينبـه إلـي ضرورة الأخذ به، كما أن الدين الإسلامي صحيح النصوص من حيث المصدر الإلهي، بجانب ما يحتويه ذلك النص من مصالح الدنيا والآخرة، ووضع الحدود التي يمكن الوقوف عليها.

لقد فهم حديثو العرب أن الحضارة الأوروبية يجب استلهامها كاملة، والتخلي عن التراث الإسلامي كاملا، بزعم أن الحضارة الأوروبية هي التـي يجـب أن تحل محل الدين الإسلامي والثقافة القائمة عليه.

ويري د. زكي نجيب محمود أن لغتنا لا تشـكل مصـدر الثقافـة العلميـة المطلوبة حيث يتوجب علينا أن نبحث عن قيم هذه الثقافة، ومعاييرها في ثقافـة الغرب المعاصرة، وفي حضارته، ويجب أن ننهل منهـا مـا اسـتطعنا إليـه سبيلا"(٢). وهو حال المستغربين، والحداثيين على الدوام.

---

(١) تتحمل الكنيسة جانباً كبيراً من هذا الانفلات نظراً لإعلانهم أن الـدين والعلـم عـدوان لايلتقيان، وساقوا أصحاب العلم التجريبي إلي المقصلة وكـانوا يتشـفون عنـد توقيـع العقوبات عليهم، ومحاكم التفتيش التي عقدوها من الشواهد علي مـا ذكـرت، راجـع د. رمسيس عوض، محاكم التفتيش، ط١، دار الهلال بالقاهرة، ٢٠٠١م. حيث عـرض جوانب كثيرة من تلك المحاكمات والنهايات الأليمة التي أعقبتها أو ترتبت عليها.

(٢) راجع د. على وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص٢، مجلة فكـر ونقد، موقع محمد عابد الجابري، وقد نسبه للدكتور زكى نجيب محمود، ونقلته عنه.

بيد أن النظر في تعريف الحداثة والحداثي يقدم صورة لعالم افتراضي تـــدور فيه جدليات تنعكس علي الفكر الحداثي بوجه عام، وهذه الجدليات ثلاثية الأبعاد:
أحدها: معارضة التراث.

ثانيها: معارضة الثقافة الأساسية القائمة علي الثوابت.

ثالثها: إحلال العقلانية والنفعية محل الدين والحقائق الثابتة.

وعليه فالحداثي: هو من يعتقد حرية التفكير المطلقـــة، ويـــؤمن بضــــرورة الصراع بين القديم بكل أصوله، والجديد بكل مناقصه، ويسعي للخــروج علـــي التقاليد الأصلية، ويرفض مصادر الدين والعقيدة، وينكر الغيبيات، ويهدف إلـــي رفض الشريعة وأحكامها، ويعلن الثورة علي المصادر الصـــحيحة، فيســـتهزئ بالله ورسله، وينكر عقيدة القضاء والقدر، ويبث في الناس ضرورة الثورة علـــي اللغة العربية، والأصول التي تقوم فيها[(١)].

الثالث: لفظ الشبهة:

وردت مادة الكلمة في القرآن الكريم (ش. ب.هـــ) حوالي ثلاث عشرة مـــرة ذكرها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مقترنة بالسور والآيات علي ناحية حصرية[(٢)]، منها قوله تعالي: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[(٣)]، قـــال الشوكاني (ت١٢٥٠هـــ) في معني الآية الكريمة أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم حيث "ألقي شبهه على غيره، ولم يكونوا يعرفون شخصه، وقتلوا الـــذي قتلوه وهم شاكون فيه" [(٤)].

---

(١) هذا التعريف استخلصته من مبادئ الحداثيين والأصول التي يعتقدونها، والمراحل التـــي مرت بهم، أو مروا بها.

(٢) الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الشين ص٤٦١ بحاشية المصحف الشريف ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م.

(٣) سورة النساء الآية (١٥٧)

(٤) الإمام محمد بن علي الشوكاني "فتح القدير الجامع بين متن الرواية والدراية مـــن علـــم التفسير" المجلد الأول ص٤٣٤ تحقيق: أحمد عبد السلام المكتبة العصرية.

وبالتالي فالشبهة هي ما غاب عن الناظر فيها وجه الحق، لضعف في عقله، أو عجز عن الوقوف علي الحقيقة وطلبها، مما يؤدي إلي العجز عن إصدار حكم يقبل في المسألة.

كذلك وردت مادة الكلمة (ش. ب.هـ) في كل من اللغة، والاصطلاح ألمح إليها علي النحو التالي:

(أ) في اللغة:

وردت مادة الكلمة (ش- ب- هـ) علي معانٍ أذكر منها، المماثلة والإيهام، ثم التدليس والاختلاط، ثم الشك[1]، إلى غير ذلك مما حوته معاجم العربية، و يمكن القول بأن الشبهة في الأصل اللغوي، ما خفي أمرها علي الناظر فيها لعلة بعقله، بجانب كون المعروض غير واضح الدلالة، ولا تقوم قوائمه في أصول صحيحة.

(ب) في الاصطلاح:

الأول: ما يتعلق بالاعتقادات:

ومعناه أن يتعلق أمر الشبهة بالإلهيات، أو النبوات، أو السمعيات، علي سبيل الإنكار لها، أو التأويل الفاسد بشأنها، أو عملية الاستبدال لأجزائها، فذلك كله مما يتعلق بالعقيدة التي يصح بها للعبد إيمانه؛ فينجو، أو يقع عليها خسرانه فيهلك، ومنها:

١- الشبهة العقدية هي التي يعتقد أصحابها أن الدين الإسلامي يتساوى مع الديانات القائمة التي أكد أصحابها انقطاع سندها الإلهي، مع أن الدين الإلهي هو المهيمن علي الجميع لقوله تعالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

---

(١) راجع الشيخ: أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج١، كتاب الشين ص١٥٠، مطبعة التقدم العلمية بمصر المحمية، ١٣٢٢هـ، وراجع المعجم الوسيط، ج١، باب الشين، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].وبناءً عليه فإن اعتقاد تساوى الإسلام مع غيره يمثل شبهة فاسدة، نظراً لاختلاف الإسلام عن غيره من الديانات الأخرى.

٢- الإيمان بأن الإنسان له عقل هو الأصل في تفوقه وتفرده، فلا يحتاج إلي حماية من شرع أو وصاية من دين[2]، وهذه الشبهة تفتقد المقومات الأساسية؛ لأن العقل في أعلي مراحله لم يستطع تقديم نفسه والتعريف بها علي ناحية صحيحة[3].

٣- الاعتقاد أن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو من عند النبي محمد (ﷺ) قياساً علي الكتب السابقة، وبخاصة الأناجيل المسيحية المعترف بها، والأخرى التي لم يعترف بها، وما دام الغرب قد تقدم عندما تركوا الأناجيل فيجب علي المسلمين إن أرادوا التقدم أن يتنازلوا عن القرآن الكريم، مع أن القرآن الكريم فيه الهداية والبشارة والشفاء، ولا يوجد ذلك في كتاب غيره قال تعالي: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[4].

٤- ما يتعلق بإنكار المعلوم من الدين بالضرورة، وهو أن العالم كله الموجود والمعدوم المشاهد، والغائب، واقع بقدر الله تعالي ولا دخل لأحد فيه، وأن إرسال الرسل حقيقة واقعية وعقيدة دينية ختمت سلسلتها بنبي خير البرية، وبالتالي تبطل شبهة القول بأن إرادة البشر هي التي ينشأ عنها العالم، وأن إرادة

---

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) راجع أ. علي وطفة مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص٣.

(٣) كان السفسطائيون في الماضي يعتقدون أن الإنسان مصدر كل شيء، وترتب علي ذلك إنكار حقائق الأشياء وثباتها، وقد نتجت عنه خطورة في الفكر والاعتقاد معاً. راجع د. حمزة السروي، الفلسفة اليونانية، ص٨٧، ط١، دار ثابت، ٢٠١٠م.

(٤) سورة الإسراء الآية (٨٢).

الإنسان وحريته وحجم حضوره في هذا الكون تمثل صورة إرادة الإنسان، لا إرادة أحد غيره[1].

ومن ثم فإن هذه الشبهة تخالف المعلوم من الدين بالضرورة وتقدح في قوانين الفكر الأساسية، وأحكامه العقلية؛ لأن إرادة الله الخالق العظيم وقدرته جل شأنه وعلمه كل هذا نشأت عنه الحياة ومصدره جميعاً هو الله.

الثاني: شبهات عقلية:

ومعناها أن العقل مستقل بذاته في أمور المعاش والمعاد، ولا توجد رسائل أخري سوي العقل، ومن تلك الشبهة ما يلي:

١- انتشار المنتجات العقلية، والعلمية، والتكنولوجية، ورفض التصورات التي تستند إلي أي أصل ديني[2]، وهذه الشبهة مردها إلي زعم التمسك بجميع أحكام العقل وهي ليست لصالحه؛ لأن العقل لا يستقل بذاته، فكيف يستقل بغيبيات لم يدر له عليها بال، والعقل في كل أحواله محل التكليف في الشريعة الإلهية متى كان سليماً، ويستدل به صحيحاً علي وجود خالقه، كما يصح أن ينعكس الأمر فيستدل علي الله بوجود العقل، فيصح في كل منهما دلالة الأثر علي المؤثر، ودلالة المؤثر علي الأثر.

٢- الطعن في أحكام العقل السليمة من الذاتية والغيرية والثالث المرفوع (عدم التناقض) فيقرر الحداثيون أن كل ما يحكم به العقل الفردي في الإنسان الواحد هو محل الاعتقاد، ويصح للعقل أن يستبدل كل الأفكار والمعتقدات وقواطع العقل بغيرها، يقول تورين: الحداثة استبدلت "فكرة الله بفكرة العلم،

---

(١) راجع عياض بن عاشور، الضمير والتشريع العقلية المدنية والحقوق الحديثة، ص١٤-١٥ ط١ المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، المغرب ١٩٩٨م.

(٢) راجع محمد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي، الحداثة ص١٧ عام ١٩٩٦م.

واقتصرت الاعتقادات الدينية علي الحياة الخاصة لكل فرد، ولا يكفي أن تكون هناك تطبيقات علمية وتكنولوجيا ما لم تتم السيطرة علي القواعد العقلية وتحويلها إلي ما يتمني الحداثيون"[1]، ومن هنا تعددت مفاهيم الشبهة باعتبار الموضوع الذي يتم تناوله، والغرض الذي تهدف إلي تحقيقه، مما يجعل الحديث عن شبهات الحداثيين أمراً ضرورياً من الناحية العقدية والمعرفية بل والأخلاقية أيضاً.

الرابع: المعجزة القرآنية:

ذهب العلامة الملاحمي (ت٥٣٦هـ) إلي القول بأنه من المعلوم: "أنه لم تجر العادة بظهور مثل هذا الكلام البليغ الذي يعبر عنه المبعوث إليه وجنسه عن مثله عما يقارنه، فكان ناقضاً للعادة، فكان معجزاً دالاً علي صدقه"[2]، وبالتالي فهذا المعني يشمل المعجزة والإعجاز معاً.

أما المعجزة فلأنه أمر خارق للعادة معروف بالتحدي، لم يتمكن أحد من مجاراته فيه، ولا تناول شيئاً من أخباره وأحكامه، وأظهره الله علي يد سيدنا محمد (ﷺ) إذ لم ينسب لنبي غيره.

وأما الإعجاز فلكون كل من حاول الإتيان بمثله أو جزء منه وقع في ضائقة شديدة لم يتمكن من الخروج عنها، وتلك الضائقة ممثلة في المفردات والتراكيب

(١) ألان تورين، نقد الحداثة، ص٢٩ ت أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية بالقاهرة.

(٢) محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي كتاب "الفائق في أصول الدين" ص٣٨٧ تحقيق د. فيصل بدير عون مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

التي حاول الإتيان بها لينقض دعوي القرآن الكريم بالعجز عن الإتيان بمثله[1]، أو بمثل عشر سور من مثله[2]، أو بمثل سورة واحدة[3].

وبالتالي وقع الإعجاز عليهم من كافة جوانبه، ثم أقروا وهم في لحظة إنكارهم "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر"[4].

يهمني تقديم تعريف للمعجزة بوجه عام، فذكر العلامة أبو المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ) أن المعجزة علي طريق المتكلمين "هي ظهور أمر بخلاف العادة في دار التكليف، لإظهار صدق مدعي النبوة مع نكول من يتحدى به عن معارضته بمثله"[5].

وقد كثرت تعريفات المتكلمين حول المعجزة بوجه عام، أما معجزة القرآن الكريم فقد عرفت بأنها: "ما أنطقه الله (ﷻ) علي لسان سيدنا محمد (ﷺ) بالعبارات الفصيحة المنبئة عن الكلام الأزلي، المبنية علي أسلوب مخصوص، لم يسمع مثله، وأقدره الله علي ذلك، واختصه به وأمره أن يتحدى به الأولين

---

(١) قال تعالي: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ سورة الطور الآية (٣٤)

(٢) قال تعالي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة هود الآية (١٣).

(٣) قال تعالي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة يونس الآية (٣٨).

(٤) الشيخ: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية" ج١، ص١٧٩، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

(٥) الإمام أبو المعين النسفي، كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص٢٣٦ دراسة وتحقيق: جيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ط١ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

والآخرين، وأخبر أنه لا يفعل مثل هذه التلاوة لغيره، وأخبر هو عن ربه، أنــه لا يعارض مع الجواز ووقع الأمر كذلك، وعدمت المعارضة، ودل مجموع ذلك علي صدقه فيما تحدي به عن ربه، وتصديق الله تعالي إياه فيما أخبر عنه"(١).

أما الإعجاز فقد ذكر الإمام الباقلاني أن: "أكبر معجزاته القــرآن العربــي، وفيه وجوه من الإعجاز أحدها ما اختص به من الجزالــة والــنظم والفصــاحة الخارجة عن أساليب الكلام، وتحدي بها فصحاء العرب، بأن يأتوا بصورة مــن مثله، فعجزوا عن الإتيان بمثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، ولم يتأتى لهم ذلك في مدة ثلاث وعشرين سنة(٢).

ومن ثم تعددت وجوه الإعجاز تعدداً كبيراً، ألمح إليها كثيــر مــن العلمــاء، وأبانوا عن جوانبها المتنوعة، وقد رأي السيوطي أنها تتجــاوز الســتين، ورأي غيره غيرها(٣).

مما سلف تبين أن القرآن الكريم معجزة بذاته، بل كل ســورة مــن ســوره معجزة مستقلة بذاتها، يقول ابن خمير السبتي (ت٦١٤هـ): "القرآن معجزاتــه

---

(١) ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحــدين ص٢٤٨ تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبه ط١، مكتبــة الثقافة الدينية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) القاضي أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهــل بــه، ص٥٩ تحقيــق الشــيخ: محمــد زاهــد الكــوثري، ط٢، المكتبــة الأزهريــة للتــراث، ١٩٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) أفرد السيوطي، لهذا الإعجاز صفحات مطولة في كتابه الإتقان في علوم القــرآن، ج٢، النوع الرابع والعشرون، ص١٩٧-٢١٢، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرســية والوسائل التعلمية، وفعل كذلك الشيخ: الزرقاني في كتابه مناهل العرفــان فــي علــوم القرآن، ج٢، ص٣٠٩-٤٣٣.

كثيرة، لكن اختلف الناس في عدها، فمن راعي السورة التي وقع بها التحـــدي، قال هي مائة معجزة، وأربعة عشر معجزة علي عدد سور القرآن، ومنهم مـــن قال: كل ثلاث آيات منه معجزة بالنظر إلي آي سورة (الكوثر)، والذي ينبغـــي أن يعول عليه، والله أعلم أن كل عشر كلمات منه معجزة، وهي عـــدد كلمـــات سورة الكوثر، إذ جاء التحدي بسورة، وسورة الكوثر عشر كلمات، والآيـــة قـــد تطول وتكثر(١).

أخلص مما سلف إلي أن شبهات الحداثيين انصبت في جانـــب منهـــا حـــول إنكار معجزة القرآن الكريم أو إعجازه، بغرض الطعن على الدين الإلهي عقيدة، وشريعة، وأخلاق، حتى ينسلخ المسلمون عن دين الإله الحق، ومما يدل علـــى تلك السخافات التي ذكرها جورج طرابيشي تحت عنوان "نبي بلا معجزة" حيث نشر كتابا مستقلا تحت هذا العنوان ثم أعاد طبعه كفصل في كتاب أكبر أســـماه المعجزة أو سبات العقل في الإسلام(٢) وأسرف في عرض ما اعتبره دلائل بينما هي أوهام وأباطيل، وسوف أتناول شبهاتهم حول القـــرآن الكـــريم وإعجـــازه، وسيكون ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

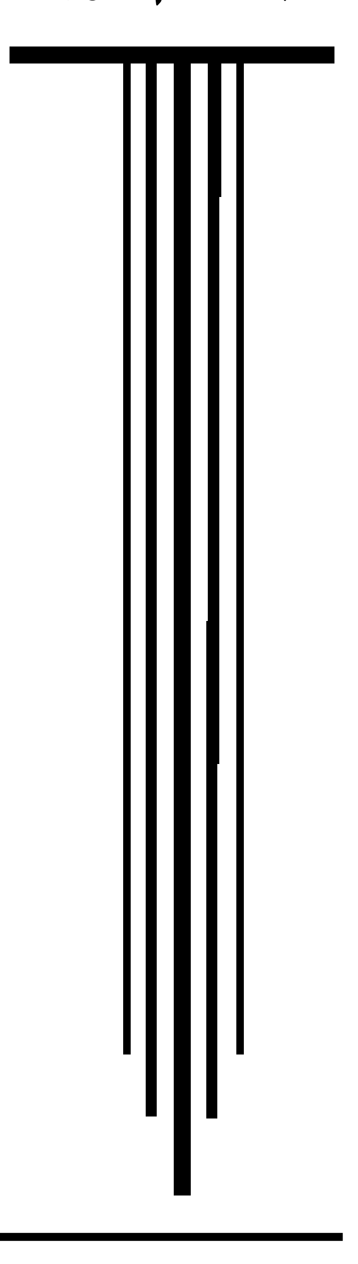
---

(١) ابن خمير السبتي مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحـــدين ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) جورج طرابيشي، المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص١١-٢٧، والكتاب كله طعن على النبوة الخاتمة، وانكار المعجزات جميعها، دار الساقي، رابطة العقلانيين العـــرب، ط١، ٢٠٠٨م.

الفصل الثاني

شبهاتهم حول التعريف بالقرآن الكريم وتسمياته





سأحاول في هذا الفصل تناول شبهات الحداثيين المتعلقة بتعريف القرآن الكريم وتسمياته بجانب قداسته، وسيكون ذلك علي ناحية منهجية تقوم في جانبين، أحدهما العرض، ثانيهما المناقشة طبقاً لما يلي:

أولا: شبهة التعريف بالقرآن الكريم:

(أ) العرض:

نحن المسلمين نعتقد أن القرآن الكريم هو: "الفظ المنزل علي النبي محمد (ﷺ)، من أول الفاتحة إلى أخر سورة الناس، الممتاز بخصائصه التي لا تنطبق إلا عليه"(١)، ومن ثم فإن هذا الكلام الإلهي المنزل علي قلب النبي (ﷺ) قد استوفي الجوانب التي تتعلق بالمفهوم من ناحية الإفادة.

وقد نقل الشيخ الزرقاني تعريفا أخر للقرآن الكريم جمع بين الإعجاز والتنزيل، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر، والتعبد بالتلاوة(٢)، فقال: القرآن هو "الكلام المعجز المنزل علي النبي (ﷺ) المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"(٣)، وغايته من ذلك التأكيد علي الخصائص العظمى التي جعلها الله تعالى للقرآن الكريم، ومن ثم فلا يمكن أن يقع بها تعريف لغيره.

---

(١) الشيخ: محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ج١، ص١٨، وقد نسب هذا التعريف إلي الأصوليين والمتكلمين.

(٢) هذه الجزئيات مما يعرف لدى العلماء باسم التعريف الجامع المانع، ومن ثم فهو تعريف مهم للغاية.

(٣) الشيخ: محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ج١، ص١٩.

ثم إن هذا الكلام الإلهي له معنى يميزه عن غيره، كما أن متنه-نصوصه- لا يشاركه فيه غيره، فهو كلام الله المضاف إلي ذاته (ﷻ)، فيخرج كلام غيره من الإنس والجن، والملائكة وغيرهم، وهو المنزل ليخرج كلام الله الذي استأثر به (ﷻ)، وله الإشارة في قوله جل شأنه:﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1]، كما أن كونه منزلاً علي قلب النبي محمد ليتميز عما أنزل علي الأنبياء السابقين قبله من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، ثم إن المتعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها علي وجه العبادة، فيخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية وغيرها[2].

وهذا الذي نعتقده هو الذي دلت عليه النصوص النقلية الثابتة عن الله تعالي في كتابه والواردة في سنة رسوله (ﷺ)، وعليه إجماع المسلمين حتى يوم الدين.

غير أن الحداثيين يرفضون هذا التعريف للقرآن، ويؤكدون أنه من وضع محمد واختراعه وأنه أثر للبيئة التي ولد فيها، يقول سيل: "أنه ينبغي ألا يختلف إثنان في أن محمدا هو في الحقيقة مصنف القرآن، وأول واضعيه، ولا يبعد أن غيره أعانه عليه، وأن محمدا كان أشد احتياطا من أن يترك سبيلاً في كشف الأمر"[3].

ويعتقد الحداثيون إمكانية تعريفهم للقرآن علي الناحية التي أرادوها، فيذكر شحرور أن القرآن: "هو حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي

---

(١) سورة الكهف الآية (١٠٩).

(٢) راجع للشيخ: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص٢ ط مؤسسة الرسالة الطبعة ٣٥، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٣) جورج سيل مقال في الإسلام ص١١٦ نقلاً عن د. محمد أبو ليلة القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ص٩٣ ط١ دار النشر للجامعات مصر ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الإنساني، وفهمها لا يتأتى إلا باستثمار قواعد البحث العلمي الموضوعي[١]، وبناءً عليه فالقرآن عندهم لا يختلف اختلافا كبيراً عن غيره من الكتب، وفي ذات الوقت فإن الوقوف عليه والحاكم هو استثمار قواعد البحث العلمي الموضوعي من وجهة نظرهم، بحيث يعرفونه كما يشاؤون، ويحكمون عليه بما يريدون، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾[٢].

لقد حاول هؤلاء الحداثيون فصل القرآن الكريم عن مُنزله، وهو الله (ﻷ)، فإذا تمكنوا من ذلك لا قدر الله اعتبروا القرآن ليس مقدساً، بل يتساوى مع أي كلام بشري آخر وهو ما يتنافى مع قداسة القرآن الكريم وعصمته، يقول جب: "إن القرآن تعبير عن محمد صادر منه"[٣].

وقد تكرر هذا القول منهم؛ لأنهم يعملون علي فصل القرآن الكريم عن الله (ﻷ)، وحاولوا نسبته إلي سيدنا محمد (ﷺ) علي أنه الفاعل له والمؤلف لجميع جزئياته، فإذا تحقق لهم ذلك اعتبروا القرآن بعيداً تماماً عن كونه كتاباً خالداً، أو كتاباً إلهياً، ومن ثم فلا يمكن التمسك به.

ويذهب أركون في تعريفه للقرآن الكريم إلي أنه "مجموعة محدودة ومفتوحة من النصوص باللغة العربية، يمكن أن نصل إليها ماثلة في النص المثبت إملائياً بعد القرن الرابع الهجري"[٤]، وما ذكره أركون يحمل أدلة كثير ومتنوعة على كذبه وضلالاته.

ويعتبر أركون من أكثر الذين حملوا هذا الوزر فيما يتعلق بهجومه علي النص المنزل، وخروجه عن القواعد التي يجب إتباعها مناهجيا، ومن الظواهر

---

(١) محمد شحرور، الكتاب والقرآن ص٥٤.

(٢) سورة يوسف الآية (٢١).

(٣) د.السيد أحمد سويلم، شبهات حول القرآن الكريم عرض ونقد ص٢٢، ط (ا)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٤) محمد أركون، الفكر العربي ص٣٢.

عليه أنه كثيراً مالا يستعمل لفظ القرآن الكريم، وإنما يستعمل لفــظ المصــحف الذي يتعامل به علي أنه النص المدون في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ).

ويعترف أركون بهذا التصرف غير المقبول فيذكر أنه حــين يتحــدث عــن القرآن يستخدم عبارة قلت: "المصحف ولم أقل القرآن؛ لأنه يدل علــي الشــيء المادي الذي نمسكه بأيدينا يومياً، ولأنه يقابل التوراة والإنجيل بالضــبط فهــو كتاب مؤلف من صفحات سجل فيه الخطاب القرآني بالخط المعروف"(١).

وهو بهذا يحاول التخلص من القرآن الكــريم المعجــز بتســميته وألفاظــه ودلالاته؛ لأن لفظ المصحف عنده قد يشترك فيه الكثيرون، وهو علي يقين مــن أن الفصل بين القرآن والمصحف سوف يعينه علي الوصول إلي غايتــه، ولــن يوفق فيها، لأن الله (ﷻ) حفظ القرآن الكريم علي تلك الصورة، وســيظل إلــي يوم القيامة، وكثيراً ما تكرر هذا القول الشنيع منه فيقول أن " القرآن ليس وحي الله بل هو من إنشاء محمد وإبداعه"(٢).

ثم إن القول بنسبة القرآن وتأليفه للنبي (ﷺ) قد نقلت عن غيــر المســلمين، وظل هؤلاء يتداولونها بينهم، ثم نقلها المستغربون(٣) من بعدهم إما جهــلاً بمــا

---

(١) محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص٨١.

(٢) د. منقذ بن محمد السقار تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين " ص٣٩ وقد رد هذا القول، ورد عليه بردود مطولة استغرقت صفحات من ٣٩-٥٦، ونعم ما فعل الرجل.

(٣) المراد بالمستغربين أبناء العرب والمسلمين الذين ذهبوا إلي بلاد الغرب، وتلقــوا عــن المستشرقين وغيرهم، ثم اعتقدوا معتقداتهم، فلما رجعوا إلي بلادهم اعتبروا مــا نقلــوه عن الغير حقائق علمية، ومعارف يجب أن يستمر العمل بها، ومن هنا فإن خطــرهم لا يقل عن خطر غيرهم، بل أظن أنه يزيد عليهم، ومنهم أبو ريــة، ونصــر أبــو زيــد، ومحمود محمد طه، وكثيرون ممن لا يتسع المقام لذكرهم، ويحــاولون الهــرب إلــي مصطلح الحداثة حتى يختبئوا فيه.

يترتب عليها، أو إعجاباً بما يقوله المستشرقون، أو رغبة في خـــروجهم علـــي الإسلام، دين الله كله.

لقد انطلق المستشرقون من مسلمة كاذبة ترددت بينهم، وهي أن القرآن مـــن تأليف محمد، وأنه زيف قدسيته، ومنهم ريجي بلاشير المستشرق الفرنسي الذي خص هذه الكذبة ترجمتين ومؤلفين لذلك الغرض المؤلف الأول(المـــدخل إلـــي القرآن) أثار فيه كل ما يتعلق بكتابة القرآن ورسمه وقراءته بالمعني، المؤلـــف الثاني(القرآن) وجعله حصيلة دراسته للقرآن الكريم، وذكر فيه أنه مـــن تـــأليف محمد (ﷺ)، وتجاوز بالترجمة غرضه وهو الإخلال بإعجاز القرآن وبيانـــه[1]. ومن ثم فان تعريفهم للقرآن الكريم فيه إعلان صريح عن تجاوز كـــل الحـــدود المعرفية، والانفلات إلى الجدل والتماس الباطل.

(ب) المناقشة:

من البين أن ما ذهب إليه الحداثيون حول تعريف القرآن الكريم، وأنه لـــيس وحياً سماوياً من الله تعالي، وإنما هو كلام بشري مـــن إنشـــاء ســـيدنا محمـــد وإبداعه، يمثل جريمة كبرى، وخروجا علـــى العقيـــدة الإلهيـــة، ومصـــادرها الأصلية، وبالتالي فلابد من مناقشة هذين الجانبين الواحد تلو الآخر لبيان الحـــق والحقيقة.

الجانب الأول: التعريف بالقرآن:

١- **تعريف القرآن بنفسه:** إذا كان هؤلاء قد أقـــاموا ذات الجانـــب علـــي تعريف للقرآن اصطنعوه بأنفسهم بعيد كل البعد عما شرع الله، فيجب الإنصات إلي ما يقوله القرآن الكريم عن نفسه من الناحية التعريفية، حيث تـــذكر آيـــات

---

(١) راجع لأنس الصنهاجي القرآن الكريم في الدراســـات الاستشـــرافية الفرنســـية بلاشـــير أنموذجاً، ضمن كتاب دراسات اشراقية السنة الثالثة العدد (٨) عام١٤٣٧هـــــ/٢٠١٦م المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية تحت عنوان دراسات استشراقيه ص٣٦.

القرآن الكريم جوانب متعددة لهذا التعريف، وهو ما يمكن تسميته تعريف القرآن بنفسه، من ذلك قوله تعالي:﴿وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1].

ففي الآيات دلالة علي تعريف القرآن بنفسه، وجاءت أدوات التأكيد في القرآن الكريم علي جوانب متعددة ابتدأت بأداة التأكيد (إن) مدخولاً عليها بالضمير(إنه)، ثم لحقها القسم الذي يفيد مزيد التأكيد، في ﴿وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾، فكأن القسم هنا يضيف بعداً جديداً في باب الدلالة، ثم دخلت لام التوكيد علي كلمة قرآن في ﴿إنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ فاجتمعت مؤكدات عدة من القسم والجملة الإسمية، وتكرار الضمر، ولام التأكيد، ثم انتهي بالوصف في﴿ كَرِيمٌ﴾ ومادام المعرف به هو القرآن نفسه فقد باتت دلالاته مبينة عن حقه في التعريف بنفسه، والقاعدة أن المعرف بنفسه يكون أقدر علي بيانها[2].

يقرر العلامة ابن كثير في معني الآية: "أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته، وإن هذا القرآن الذي نُزل على محمد كتاب عظيم محفوظ موقر، لا يمسه إلا المطهرون، الذين هم عند الله من أهل القبول، وليس أصحاب الذنوب"[3]، وما دام القرآن قد عرف بنفسه علي هذا النحو، فإن ما ذهب إليه المخالفون يسقط من بابه.

---

(١) سورة الواقعة الآيات (٧٦-٧٩).

(٢) هذه القاعدة معمول بها في كافة الدراسات العلمية والتاريخية، بل الأدبية والفلسفية وغيرها، وربما لها سند من قاعدة الأنساب المشار إليه في الأثر: (الناس مؤتمنون علي أنسابهم)، ومدار التطبيق هنا علي المعني الذي يمثل حالة المكاشفة، ومحل الشاهد في أن واحد.

(٣) راجع لابن كثير "تفسير القرآن العظيم" ج٤ ص٣٦٢-٣٦٣ تحقيق: أبو عمر ناصر الدمياطي ط دار العقيدة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

وإذا افترضنا أن ما ذهبوا إليه قد يجد له شيئا من سند في صدورهم، فإن المعني هو ما صح عليه الدليل، وهو أن القرآن كتاب كريم، كتاب أحكمت آياته، كتاب فصلت آياته، كتاب حوي ما فيه صلاح العباد والبلاد وتمكينهم من النجاة في الآخرة.

ثم إن هذا الجانب من التعريف للقرآن بنفسه وردت له آيات منها قوله تعالي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(1)، فالقرآن شهد لنفسه وعرف بذاته بأنه الكتاب الذي لا ريب فيه، بل فيه هدي للمتقين، وهل هناك أجلي من تعريف القرآن بذاته وتعريف القرآن بصفاته(2).

٢- إن هذا التعريف الذاتي بالقرآن يمتد إلي عملية الفهم الواعي للدلالة القرآنية، ومن ثم يمكن القول بأن القرآن وهو يعرف نفسه لم يحتج إلي جهود في التعريف، وإنما العقول هي التي تحتاج المتابعة حتى تفهم ما يدور علي جانب التعريف.

ثم إن القرآن الكريم، وهو يعرف بنفسه يذكر مرات أنه الكتاب الحكيم وأنه الكتاب المبين، وأنه الذي لا ريب فيه، وأنه الذي يدور حوله التحدي للإنس والجن بل لغيرهم، ولم يتمكن أحد ولا جماعة من التعرض لتلك التعريفات القرآنية، وأن ينال منها، فدل الأمر علي أن ما عرف القرآن به نفسه هو الذي يجب المصير إليه، والعمل به، ومخالفه ساقط قوله، مردود فعله، غير مقبول منه شيء(3).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢).

(٢) تعريف القرآن بذاته يمكن تسميته التعريف بالحد التام علي لغة المناطقة، والتعريف بصفاته يمكن اعتباره داخلاً في نطاق التعريف بالرسم علي ناحية من النواحي.

(٣) قال تعالي: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة الدخان الآيات (١-٣).

ويؤكد الشيخ الصابوني علي استمرار تعريف القرآن بنفسه، وأنــه سـيظل بحراً زاخراً بأنواع العلوم والمعارف، يحتاج من يرغب الحصول علــي لآلئــه ودرره، أن يخوض في أعماقه، ولا يزال القــرآن يتحــدى أســاطين البلغــاء، ومصاقع العلماء، بأنه الكتاب المعجز المنزل علي النبي الأمي شاهداً بصـدقه، يحمل بين يديه برهان كماله "وآيات إعجازه" ودليل علي أنــه تنزيــل الحكــيم العليم(١).

٣- **إن تعريف الحداثيين للقرآن الكريم بأنه:** (مجموعة محدودة ومفتوحــة من النصوص باللغة العربية، يمكن أن نصل إليها ماثلة في النص المثبت إملائياً بعد القرن الرابع الهجري)(٢) قد سلك به مسلكاً يمكن نقضه بعد نقده، أما لماذا؟ فلأن قولهم هو جملة مجموعة محدودة ومفتوحة يناقض، بعضها بعضــا فيــه غرابة، أما لماذا فلأن المجموعة المحدودة تكــون لهــا بدايــة ونهايــة هــي حدودها(٣)، فثبت بطلان ما ذهبوا إليه.

أضف إلى ما سبق أن الحد قد يراد به التعريف إذا أطلق علي جانب بذاتــه، بل هو أمر كثر وروده في المؤلفات الكلامية، وبخاصة الإعتزاليــة فــإنهم إذا أرادوا تعريف شيء ما، قالوا حده كذا، إذ الحد عندهم هــو التعريــف، والحــد اللغوي مفيد في التعاريف علي نواح كثيرة.(٤).

---

(١) راجع أ.محمد علي الصابوني، صفوة التفاســير" ج١، ص١٣، طبعــة دار الصــابوني الأولي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) محمد أركون، الفكر العربي، ص٣٢.

(٣) هذا بناءً علي قاعدة أن الحد في اللغة المنع، وفي الاصطلاح قول يشتمل علي مــا بــه الاشتراك، وعلى ما به الامتياز. السيد الشريف الجرجاني، التعريفــات، بــاب الحــاء، ص٧٣، طبعة الحلبي ١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٨م.

(٤) راجع القاضي عبد الجبار موسوعة المغني ج١١ التكليف، ص٢٩٣، تحقيق: محمد على النجار، عبد الحليم النجــار، المؤسســة العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥.

من ثم فإن ما ذهب إليه الحداثيون من تعريف القرآن بأنه "مجموعة محدودة إذا حمل علي ظاهرة أبان عن خطأ معرفي وموضوعي معــاً، وتلــك مشــكلة الحداثيين في أنهم ليسوا مرتبين ذهنياً، كما أن معــارفهم لا تقــف عنــد حــد معقول[1]، والقاعدة أن المعارف الفاسدة تضل أصحابها.

٤- إن إدخالهم كلمة ومفتوحة معطوفة علي كلمة محدودة جعلــت الفصــل بينهما ضرورياً من ناحية المعني؛ لأن مفتوحة معناهــا غيــر منتهيــة، بينمــا محدودة معناها منتهية، فكيف يجمع في التعريف بين المحدود والمفتوح، أو بين المتناهي و اللامتناهي، ألا يدل ذلك علي تناقضهم فيما ذكروه، وتهافت معارفهم بالنسبة لما وصفوه.

أما ما ذكره أركون من أن القرآن مجموعة محدودة مفتوحة من النصــوص العربية يمكن الوصول إليها ماثلة في النص المثبت إملائياً، بعد القــرن الرابــع الهجري، ففيه إعلان عن جهل فاضح، ومخالفة للبديهيات العقلية، أمــا لمــاذا؟ فلأن القرآن الكريم وهو يتنزل إنما جاء دفعة واحدة من اللوح المحفوظ، وأنــه في تنزله علي قلب النبي (ﷺ) وفي كتابته عن طريق كتاب الــوحي ومراجعــة جبريل للنبي (ﷺ) فيه قد تم علي حياة الرسول (ﷺ)، خلال مــدة بلغــت ثلاثــا وأربعين سنة[2].

---

(١) لقد جاءت آيات القرآن الكريم متناولة هؤلاء، وأمثالهم في آيات منها قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...**﴾ سورة فاطر الآية ٨.

(٢) الثابت عندنا، وجميع العقلاء ان سيدنا محمدا (ﷺ) اختاره الله تعالى نبيا ورســولا مــع نهاية سن الأربعين، وانتهت حياته (ﷺ)، بين الناس في سن الثالثــة والســتين، راجــع للشيخ: جلال الدين السيوطي، الخصائص النبوية الكبــرى مجلــد١، ص١١٧، تحقيــق وتعليق: حمزة النشرتى، عبد الحفــيظ فرغلــي، عبــد الحميــد مصــطفى، مكتبــات الأهرام١٩٩٦. وقد ذكر أحاديث كثيرة ارتبطت كلها بمولده (ﷺ)، وبعضها تم تخريجها، وظل يتابع حتي ص١٣٠. وراجع الإمام الحسن الماوردي، أعــلام النبــوة، ص٢١٩، تحقيق أ. عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بالقاهرة.

من الغرابة والجهل القول بأن النص القرآني اثبت إملائياً بعد القرن الرابع الهجري، وكل ما ذكره خلا من الدليل، بل هو كلام من لا يعرف عن القرآن الكريم إلا ما يذكره خصوم دين الله الذين تفرقت بهم السبل، وعجزوا عن فهم القرآن الكريم وإدراك أسراره، وباتوا يحلمون بأن يجدوا ما يعينهم في القضاء علي الإسلام دين الله رب العالمين، ولن يتمكنوا من ذلك أبداً؛ لأن الله تعالي حفظ كتابه، وبين أنه قائم إلي يوم الدين، في قوله تعالي:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(١).

ولا يخفي أن تعريف القرآن الكريم من قبل المفكر المسلم، بعد تعريف الله تعالى له، وتعريف رسوله (ﷺ)، قد أقامه علي قاعدة ثابتة، فيذكر القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) "أنه كلام الله تعالي مكتوب في المصاحف علي الحقيقة، ويستشهد بقوله تعالي: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾(٢)، ثم يقول: وهو في مصاحفنا مكتوب علي الوجه الذي هو علي اللوح المحفوظ"(٣)، ويستدل عليه بقوله تعالي: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾(٤).

وبناءً عليه فتعريف القرآن قائم علي قاعدة ثابتة، وهي أن المكتوب في اللوح المحفوظ هو ذاته المكتوب في المصاحف التي بأيدينا، وهذا يبطل مزاعم الحداثيين بأنه مجرد نصوص مثبتة إملائياً بعد القرن الرابع الهجري.

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) سورة الواقعة الآيتان (٧٧-٧٨).

(٣) القاضي أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب الاعتقاد ولا يجوز الجهل به، ص٨٨ تحقيق الشيخ: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) سورة البروج الآيتان (٢١-٢٢).

وقد أشار الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) إلي ذلك حيث قال: "إن النبي (ﷺ) كان يقرأ القرآن ويتحدى به، ويدعي عجز معارضه عن الإتيان به"[١]، وقد وقع أمر التلاوة، وأمر التحدي، وأمر الإعجاز على نواح كلها صحيحة، فبان أن المعلوم بالضرورة هو التزام تعريف القرآن بما عرف به نفسه.

وذكر جلال الدين الخبازي (ت٦٩١هـ) أن القرآن اشتمل علي ما كان في الماضي من قصص الأولين، وأنباء المتقدمين، بحيث لم يتمكن أحد من الأعداء إنكاره، وعلي ما يكون في المستقبل[٢]، وكان كما أخبر[٣].

ويقرر الدكتور/ محمد عبد الله دراز أن ما ذكره العلماء في تعريف القرآن الكريم بالأجناس والفصول، كما تعرف الحقائق الكلية، فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في الاسم ولو توهماً[٤]، ذلك أن سائر كتب الله تعالي والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن الكريم في كونها وحياً إلهياً، فربما ظن أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً

---

(١) راجع للفخر الرازي كتاب الاشارة في أصول الكلام ص٣٠٠ تحقيق: محمد صبحي العايدي، وربيع صبحي العايدي ط١ مركز نور العلوم للبحوث والدراسات ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) واستشهد علي ذلك بآيات، منها قوله تعالي:﴿ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ سورة الروم الآيات (١-٣).

(٣) العلامة جلال الدين عمر بن محمد الخبازي الحنفي الخجندي، كتاب "الهادي في أصول الدين " ص٢١١ تحقيق: عادل بيك ط١ اسطنبول ٢٠٠٦م.

(٤) المراد بالتوهم هنا مجيء اللفظ القرآن باعتباره المقروء أو مجيء لفظ قراء علي معني أنه ردد أو اعتبار أن ما يرد عن الله عن طريق الوحي، فإنه يسمي قرآناً أو منزلاً أو مقروءً، ولذا كان احتراس الشيخ: دراز واضحاً في استعماله عبارة لو توهمنا.

فأرادوا بيان اختصاص الاسم به، ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنـــواع، فقالوا: القرآن هو كلام الله تعالي المنزل علي محمد (ﷺ) المتعبد بتلاوته"[١].

وبناءً علي ما سبق تكون شبهة تعريف القرآن من قبل الحـــداثيين لا تســـتقيم علي ناحية، بل نقدها علي ما سلف يمثل ضرورة معرفية، وحقيقة علميـــة فـــي وقت واحد.

ويقرر د. الريسوني أن غاية أركون ومن معه من تعريف القرآن بما ذكره، أن يؤدي بهم إلي الغاية الخبيثة التي يريدونها، وهـــي الفصـــل بـــين القـــرآن والمصحف"[٢]، وقد خاب مسعاهم، وضلوا طـــريقهم، والله تعـــالى قـــال فـــيهم وأمثالهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾[٣]، غير خاف أن تعريف القرآن بنفســـه هو الذي يجب اعتماده، أما غيره فأصحابه به أولي.

ثانيا: موقفهم من تسمية القرآن:

إذا كان الحداثيون يتهمون القرآن الكريم بأنه أسطورة يمـــوه بهـــا ويعمـــي ويستر الحقائق، وهو مصدر دائماً لليقينيات التي لا تستند إلي برهان؛ لأنه ينهي عن المساءلة والتفكير العقلي، كما يتهمون القرآن بأنه يقبل بسذاجة مسألة الوعد بالحياة الأبدية في الآخرة، ويتهكمون من حديث القرآن الكريم عن الحور العين، ويحكمون عليه بأنه حديث لا يعبر إلا عن عقلية ذكورية اغتصابيه جامحة إلـــي السيطرة"[٤]، فماذا ينتظر من هؤلاء إذا تحدثوا عن تسمية القرآن الكريم.

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ص١٠ عناية الشـــيخ: عبد الحميد الدخاخني طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ط (١)١٤١٧هـــ/١٩٩٧م.

(٢) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر، ص٢٢٥.

(٣) سورة فصلت الآية (٤٠).

(٤) راجع محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، ص٨٦، ط١، مركـــز الفكـــر الإيمـــاني بيروت، ١٩٨٦م.

وإذا كان الحداثيون يعتقدون اعتقاداً فاسداً أن القرآن الكريم شكلته ظروف وأحوال العرب في وقت البعثة، وينطق أحدهم قائلاً: "أن النص القرآني في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل خلال فترة تزيد على العشرين عاماً"(١).

فماذا ننتظر منهم إذا جاء الحديث عن القرآن الكريم من ناحية تسميته، وما يلحق ذلك، من المؤكد أن ذلك يحتاج عرضا لما ذكروه، ثم مناقشة تبين فكرهم، وتكشف فساد دعاواهم؛ لأن القرآن هو كلام الله الخالد الباقي، وسوف يكون ذلك من خلال ما يلي:

(أ) العرض:

إن الله (ﷻ) أنزل القرآن الكريم، وجعل له أسماء كلها ناطقة بقداسته وتنزيهه وتجلته، منها القرآن قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾(٢)، والفرقان قال جل شأنه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾(٣)، والذكر قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾(٤)، والكتاب قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾(٥)، والتنزيل قال سبحانه: ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾(٦) إلي غير ذلك مما جاء حديثاً حديثاً عن تسمية القرآن الكريم في القرآن نفسه.

---

(١) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص٢٤، ط٢، المركز الثقافي العربي بيروت.

(٢) سورة النمل الآية (١).

(٣) سورة الفرقان الآية (١).

(٤) سورة الحجر الآية (٩).

(٥) سورة البقرة الآية (٢).

(٦) سورة فصلت الآية (٢).

بيد أن الحداثيين قد نحتوا من المؤلفات اللاهوتية نحوتاً أطلقوا عليها أسماء أدبيات الحداثة، ومصطلحات الحداثة، بينما هي نبتة غير أصيلة من دوائر العلمانية، ومرجعيات اللاهوت بكل أنواعه وأبعاده، وغايتهم من ذلك إطلاق أسماء علي القرآن الكريم من تلك النحوت حتى ينطمس المصطلح القرآني، ويتلاشى إعجاز الوحي ولا يجد المسلم سوي جملة من الأقاصيص والأفكار المحرفة.

بل إن هؤلاء الحداثيين يرون أن تسميات القرآن الكريم يجب أن تتعدد لا بتعدد التنزيل الإلهي لها، إنما بتعدد السياق الذي ترد فيه، والمناسبة التي تقتضيه[(١)]، اعتقاداً منهم أن ذلك سيمحو القرآن اسماً وقداسة من صدور أهل الإيمان بالله رب العالمين، فاستبدلوا أسماء القرآن التوقيفية بأسماء وهمية، أطلقوها من عندياتهم يدور أغلبها في تراكيب غير مفهومة، منها المدونة الرسمية المعلقة، ومنها الرسمية المطلقة، والظاهرة القرآنية، والمتفق عليه، ومنها الخطاب الشفوي، بجانب الخطاب النبوي، إلي غير ذلك مما دفعتهم إليه شياطينهم[(٢)].

وحيث إن تلك التسميات التي وضعها الحداثيون بديلاً عن تسميات القرآن الكريم تمثل خروجا على المعلوم من الدين بالضرورة، وتعلن التخلي عن

---

(١) هذا الاتجاه بارز في مخلفات الحداثيين، وأكثرها شيوعاً لدي الحداثيين العرب، وتلك مسألة شائنة لكل عربي، المفروض أنه تشبع بالقرآن الكريم منذ كان نطفة في رحم أمه المعرفي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢) راجع في تلك التسميات الغربية هاشم صالح، تعليقات علي كتاب القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني، ص١١٥، ولأركون، نافذة علي الإسلام ص٥٨، وتاريخية الفكر الإسلامي ص٢٩٩، وله أيضاً أين هو الفكر المعاصر ص٥٩. وللنبهوم، الإسلام في الأسر ص١٣٥.

العقيدة الإلهية؛ فإني سأعرضها مع بيان دلالتها لديهم حتى إذا انتهيت منها رجعت إليها بالنقد والمناقشة، من أبرز تلك التسميات:

١- التسمية بالخطاب النبوي:

من المؤكد أن تسمية القرآن الكريم بالخطاب النبوي ما هو إلا مصطلح قد تم نحته انطلاقا من عملية التحليل الألسني الصرف[١] للخطاب الديني المتجلي في التوراة والإنجيل بالنسبة لهم، يقول هاشم صالح: "إن التحليل الألسني الصرف للخطاب الديني المتجلي في التوراة والإنجيل يجب أن ينطبق علي القرآن؛ لأن هذه المجموعات النصية الثلاثة متساوية، وتتميز بخصائص لغوية وسيميائية دلالية مشتركة ومتشابهة[٢].

ومعني هذا أن القرآن الكريم يجب أن يتسمى بمسميات استراح لها البحث النقدي عن طريق السياق الوارد فيه، بعيدا عن التنزيل الإلهي، فلا يفترق القرآن عن كل من التوراة والإنجيل في هذا الشأن، ويشرح أركون سبب تسمية القرآن بالخطاب النبوي مبيناً أن مصطلح الخطاب النبوي يجب أن يطلق علي النصوص المجموعة في كتب العهد القديم، والأناجيل[٣]، والقرآن أنه مصطلح

---

(١) المراد بالتحليل الألسني ما عرف لدي الفلاسفة الاسميين الذين عنوا بمفردات اللغة وتجاهلوا المعاني، وطبقوا ذلك علي كتب اللاهوت التي بين أيديهم في الغرب وتجئ في مجلد واحد اسمه الكتاب المقدس، وكثرت تلك الحركة الاستعمالية علي يد كل من كوندرسيه، وفتجنشتين وغيرهما ممن عرفوا بالفلاسفة الاسميين. راجع د. محمود عزت، الفلسفة الإسمية، ص٨١، طبعة القاهرة، ١٩٩٧م.

(٢) هاشم صالح، هامش القرآن من التفسير الموروث إلي تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون ص٧٨.

(٣) من المعلوم أن الكتاب المقدس لدي اليهود والنصارى يجئ في عهدين أحدهما: العهد القديم، ويشتمل علي سبعة وثلاثين سفراً، بجانب عدد من الاصحاحات، وهو مجهول الكاتب وعليه نقودات تجاوزته كثيراً من المعتقدين في اليهودية، والثاني هو العهد=

يشير إلي البنية اللغوية والسيميائية للنصوص"(١).

ولا شك أن هذه التسمية مردها إلي ما ذكره بلاشير في قوله: "وردت كلمة قرآن بمعني التلاوة، ويمكن أن تكون مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه جداً لهذا المعني، ثم ينتهي إلي القول بأن كلمة القرآن بالنسبة لمحمد وأبناء جيله فضلاً عن كونها مزودة بجرس موسيقي فإنها تعبر أساساً عن فكرة التبليغ بالقول والتبشير الديني والرسالة التي أخذت عن ملاك، وفي وقت قرب من نهاية دعوة محمد فقط وعندما ابتدأ الكلام المنزل يثبت بالكتابة والتدوين أمكن لكلمة قرآن أن تأخذ المعني العام للكتاب المقدس بحسب المفهوم الذي نعرفه نحن، ثم ينتهي إلي أن كلمة القرآن بهذا المعني والمنطوق لم تنزل من جهة الرب، وإنما الذي أعطاها لها هو نحن البشر، فيقول: "وقد أعطينا لكلمة قرآن هذا المعني بطريقة مغايرة للعقيدة؛ لأن الكتاب المقدس يقابل لفظة كتاب في العربية التي تعني تماماً النص المكتوب"(٢).

وبالتالي فهؤلاء عندما أطلقوا علي القرآن الكريم التسمية بالخطاب النبوي قد فقدوا الأصول التي يمكن التعويل عليها، ثم إن تسمية القرآن الكريم بالخطاب

=الجديد المشتمل علي الأناجيل الأربعة القانونية، بجانب رسائل بولس، وما بعدها، هو المقبول عند المعتقدين له، ويسمحون لأنفسهم بوضع تسمية من عندهم يطلقونها عليها ولا يجدون في ذلك حرجاً. راجع ليوتاكسل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة د. حسان مخائيل، وراجع للدكتور جورج فورد الأمريكاني، سيرة المسيح، ص١٤، حيث تمت ترجمته عن طريق الكنيسة ونشر بمصر ١٩٨١م، وكلاهما شاهد علي أن ما بأيدي المعتقدين له ليس مقدساً.

(١) محمد أركون القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني، ص٥.

(٢) بلاشير، القرآن- نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره- ص٢٣، ترجمة رضا سعادة، اشراف الأب فريد جبر، مراجعة الشيخ: محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني بيروت ط (١) ١٩٧٤م.

النبوي الغاية منه قطع الصلة بين القرآن والمصدر الإلهي، وفيه إيماءة إلي الرغبة الدفينة للقضاء علي قدسية القرآن الكريم ووضعه في إطار يقبل التحريف وتلك مشكلتهم ولن يتمكنوا منها إن شاء الله، وسأعرض وجوه فسادها أثناء المناقشة إن شاء الله.

٢- التسمية بالظاهرة القرآنية:

كثير من أهل العلم تحدثوا عن الظاهرة القرآنية كانت غايتهم إبراز جوانب الإعجاز في القرآن الكريم(١)، بينما الحداثيون جاءت غايتهم علي العكس من ذلك تماماً، ولنترك عبارتهم تتحدث عن نفسها، يقول أركون عن تسمية القرآن بالظاهرة القرآنية: "التجلي التاريخي لخطاب شفهي في ذلك ومكان وزمان محددين تماماً، الزمان هو بدايات التبشير، والمكان هو البيئة الاجتماعية والثقافية التي ظهر فيها، وهي الجزيرة العربية(٢).

فإذا تبين أن مصطلح الظاهرة القرآنية قد أطلقه الحداثيون بديلا عن اسم القرآن الكريم، فمن المؤكد أن لهم غايات متعددة أبرزها:

إحداها: ضرورة الفصل بين مرحلة تنزيل القرآن الكريم وتدوينه، وذلك مما يمهد له في القول بتاريخية النص القرآني.(٣)، وقصره علي الأسباب الخاصة من ناحية التنزيل، والبيئة أو المحيط التاريخي الذي عاصر لحظة تشكله.

---

(١) فعل ذلك محمد إقبال في كتابة الظاهرة القرآنية ومالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية، وكل منهما سعي لبيان جانب من جوانب الإعجاز في الوقت الحاضر، وتطبيقاتها العلمية والعملية ولكل منهم شيء من غاية محمودة.

(٢) محمد أركون قضايا في نقد العقل الديني ص١٨٦.

(٣) المراد بتاريخية النص القرآني أنه جاء لوقت بذاته، وقد انتهي هذا الوقت، فيجب أن ينتهي القول بوجود القرآن، إنهم يعتقدون أن القول بتاريخية القرآن يفضي حتماً من التخلص من النص المقدس، وتلك مشكلتهم التي يحاولون التأكيد عليها، وفي نفس=

ثانيها: فقدان الثقة في المصدر الرباني، بجانب الخروج عن دائـــرة تقديســـه في نفوس الناس، والضغط علي عقلية المسلم وضميره حتى يتخلى عن كتـــاب الله الخالد.

لقد أبان أركون عن تلك الغاية في تسمية القرآن الكريم بالظاهرة القرآنيـــة: "إن كلمة قرآن مشحونة بالدلالة الإيمانية، والبعد اللاهوتي فـــلا يســـمح مجـــال التحليل التاريخي المقارن بتداولها[١]، ولا تقر القراءة البريئة إقحامها في صـــلب المراجعة "النقدية"[٢].

فإذا جئنا لعبارة أركون وجدناها ناطقة بقوله: "اســـتخدمت هنـــا مصـــطلح الظاهرة القرآنية، ولم استخدم مصطلح القرآن قصداً؛ لأن كلمـــة قـــرآن مثقلـــة بالشحنات الإيمانية واللاهوتية[٣]، ومن ثم فلا يمكن استخدامها (كلمـــة القـــرآن)

=الوقت يبذلون جهودهم لإقرارها بين الناس حتى يتساوى القرآن المنزل من عند الله مع غيره من الكتب والمؤلفات البشرية، الأخرى التي لعبت فيها يد التغيير. راجـــع محمـــد عابد الجابري، مدخل إلي القرآن، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، وراجع د. مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي الغربي المعاصر ص٣١٥، ولنصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ود. قطب الريسوني، "النص القرآنـــي مـــن تهافت القرآن إلي أفق التدبر، وكثير غيرهم ممن تغن بالحداثة أو كان ناقداً لها.

(١) لقد أبان الرجل عن الإفراغ الاستشراقي الذي تعبأ به إلي كيـــف تكـــون كلمـــة قـــرآن مشحونة بدلالة إيمانية، ولا يسمح مجال التحليل التاريخي بتداولها، أيها الذي يحكم علي الآخر، لقد أخفق هذا ومن معه وتوعده الله ومن معه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة فصلت الآية (٤٠).

(٢) د. قطب الريسوني "النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبير ص٢٣٤.

(٣) هذا اعتراف منه بأن كلمة القرآن ذات وقع قوي، وتأثير في النفـــوس المؤمنـــة، وهـــو يخشي من سلطتها علي تلك النفوس، وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا في قولـــه جـــل=

مصطلحاً فعالاً من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التـراث الإسـلامي، وإعادة تحديده، وفهمه بطريقة مستقبلية استكشافية[١].

علي كلٍ فإن شبهة التسمية والطعن فيها ربما اعتبرها الحداثيون من مهامهم الوظيفية، معتقدين أنها إذا سارت في الناس ربما أوهمت، وأتاحت للهوس الحداثي أن يجد له مكاناً، وإن طال المدى بحيث يؤثر به علي النقل المنزل، أو ينال حظاً من القرآن الكريم، ولن يكون لهم ذلك أبداً، إن شاء الله.

(ب) المناقشة:

تدور مناقشة تلك الشبهة التي أوردها الحداثيون على التسمية الإلهية للقرآن الكريم، واستحداثهم بديلا عنها يحل محل الوارد عن الله تعالي من عدة جوانب:-

الجانب الأول: الغاية من تلك التسمية، وهى تدور في الرغبة الدفينة لمحو المصطلح القرآني، وطمسه وإذهابه من نفوس أهل الإيمان، وتلك مسألة حسمت عن طريق النقل تارة وعن طريق العقل أخري، أما طريق النقل فواضح من قوله تعالي: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[٢]. قال الفخر الرازي: "اعلم القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء من الأمراض الجسمانية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر من حيث إنها نوعان أحدهما الاعتقادات الباطلة، والثاني الأخلاق المذمومة"[٣]،

=شأنه: **{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}** سورة الحشر الآية (٢١).

(١) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص٢٠٠.

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٢).

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، المجلد العاشر ج١٩، ص١٧٢، ط١، دار الغد العربي القاهرة.

ثم أخذ في بيان الاعتقادات الباطلة، وبين أن أشدها ما يكـون فـي الإلهيـات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، ثم ذكر أن القرآن الكريم كتاب مشتمل علـى دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها.

ثم أخذ في ذكر النوع الثاني مـن الأمـراض الروحانيـة وهـو الأخـلاق المذمومة، وبين أن القرآن مشتمل على تفصيلها، وتعريف ما فيها من المفاسـد، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة، والأعمال المحمودة(١)، فكان القرآن شفاء مـن هذا النوع من المرض، وثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانيـة، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية، فلأن التبـرك بقراءتـه يـدفع كثيـر منها(٢).

وقد بينت الآية الكريمة صورتين علي وجه دقيـق **الأولـى:** صـورة أهـل الإيمان الذين ينزل عليهم القرآن تلاوة، وتأملاً، وتدبرا، واستشـفاء، ولا يمكـن تسميته بغير ما سماه الله جل علاه، وفي هذا رد علي الحداثيين، ومن كان معهم بأنكم مهما قلتم أو فعلتم فلن يتخلى أهل الإيمان عن القرآن الـذي فيـه شـفاء ورحمة، لا يمكن أن يوجدا إلا فيه.

الثانية: أن القرآن حكم علي الحداثيين، وأمثالهم بأنهم جملة من الظالمين ولا يزيدهم القول في القرآن الكريم إلا خسارا، يلحق بهم في دنياهم حين يـنطمس علي قلوبهم، كما يكونون في الآخرة من أهل النار، قال الشيخ الصابوني "ننزل من آيات القرآن العظيم ما يشفى القلوب من أمراض الجهل والضلال، ويـذهب صدأ النفس من الهوى، والدنس، والشح، والحسد، وما هو رحمة للمؤمنين بمـا

---

(١) القرآن الكريم كتاب هداية، إنذار وبلاغ وتوجيه؛ فيسعى إلى اقتلاع المذموم والقبيح، ثم يضع بدلا منه المقبول المحمود الذى يثاب عليه صاحبه.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، المجلد العاشر ج١٩، ص١٧٢.

فيه من الإيمان والحكمة والخير المبين، ولا يزيد الظالمين الكافرين إلا هلاكاً ودماراً لأنهم لا يصدقون به؛ فيزدادون كفرا وضلالا"[١]، ومن ثم فهم قد حكموا على أنفسهم بما قضاه القرآن الكريم فيهم. وبناء على ما سلف تكون شبهة الحداثيين قد اجتثت ودلائل القرآن الكريم قد ثبتت.

الجانب الثاني: الإسقاط الفاسد: ومعناه أن الحداثيين يحاولون إسقاط الأحكام التي وردت على إحكام الطعن، والنقد للكتاب المقدس بعهديه –القديم والجديد– على القرآن الكريم، وهذا الإسقاط ساقط من أصله، أما لماذا؟ فللجوانب والصور التي نطق بها أصحاب تلك الكتب، وهي قائمة في قاعدة، وشهد شاهد من أهلها، من أبرزها:

١- فقدان النصاب والمساواة، ومعناه أنه إذا كان نصيب الكتب المقدسة السالفة قبول النقد عن طريق الخصائص الدلالية والتحليل الألسني، فإن ذلك لا نصيب له بالنسبة للقرآن الكريم، أما لماذا؟ فلجملة من الحقائق:

أولها: الحقيقة الشرعية الواردة في النقل المنزل ذاته، فهو الشاهد لنفسه، قال تعالي: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٢]، قال المفسرون: تكفل الله بحفظ هذا القرآن، فلم يعد يقدر أحد على الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا على التبديل والتغير، كما جرى في غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله تعالى: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ**﴾[٣]، وانظر الفرق بين هذه الآية، و

(١) الشيخ: محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد ٢، ص١٥٩، ط دار الصابوني.

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) وتمام الآية: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} سورة المائدة الآية (٤٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، حيث ضمن الله، وبين الآية السالفة حيث وكل حفظه إليهم؛ فبدلوا وغيروا[2]، ومن ثم فالحقيقة الشرعية بارزة ناطقة بأنه لا مكان لمشابهة القرآن الكريم بما وقع للكتب السابقة بحال من الأحوال، وعليه فإن القرآن الكريم في تسميته وآياته قائم على الحفظ الإلهي، ولن ينال منه أحد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانيها: الحقيقة التاريخية وهى أن القرآن الكريم تحدي الإنس والجن بل الجميع، منذ نزوله، وتحدى الإتيان بمثله، أو عشر سور من مثله، أو سورة واحدة من مثله، وما يزال التحدي قائماً، وبناءً عليه فلا توجد مماثلة لغيره به، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3]، والمعنى لو اتفق وأجمع أرباب الفصاحة والبيان من الإنس والجان، وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن لما أطاقوا ذلك، ولو تعاونوا وتساعدوا على ذلك جميعا؛ فإن هذا أمر لا يستطاع، وليس بمقدور أحد[4]، مع أنهم في أول أمرهم أوعدوا قدرتهم على الإتيان بمثله، وحكى القرآن الكريم ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾[5]، ومازال التحدي قائما، والتاريخ شاهد على العجز.

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) راجع للإمام الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج١٩، ص١٦٧.

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٤) الشيخ: محمد على الصابوني صفوة التفاسير، المجلد الثاني، ص ١٥٩، ويراجع للعلامة الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، المجلد الأول ص١٠٧٤، المطبعة العصرية، جدة.

(٥) سورة الأنفال الآية (٣١).

ثالثها: الحقيقة اللغوية، وهى شاهده بأن القرآن الكريم احتفظ باللغة التي أنزل بها، وما زال هذا الاحتفاظ قائماً، وسيظل بل كلما تمت قراءته والتأمل فيه أدرك المسلم أن مصدره الإلهي حفظ له موقعه، ولن تسقط عنه قداسته، وصح في القول شهادة خصم سبق بقوله (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر)[1].

أما شهادة الغير وأعني بها أن الكتب التي حاول الحداثيون وضع القرآن الكريم بين سياقاتها وجرت عليها المماثلة فقد شهدت بفقدانها النصوص التي جاءت أولاً[2]، واعترف بها أتباعها أنفسهم، يقول جورج فورد: "إن المسيح لم يكتب إنجيلاً ولم يمله علي تلاميذه، وإنما كتبت هذه الأناجيل بعد ثمانين سنة من انتقاله، وأقدمها إنجيل مرقس، ورأي الآباء أن يدون كل واحد ما بلغه عن يسوع، فصارت هذه الأناجيل تمثل سيرة يسوع لتكون بشارة للمؤمنين به" [3].

ولا يخفي أن تلك الكتب التي قيس عليها القرآن الكريم تتم ترجمتها بلغات مختلفة، الكثير منها ملفق، والقاعدة أن المترجم إن فعل فإنما ترجم المعني وليس النص، وهنا يسقط التماثل الذي زعموه، ويبقي التفرد الذي شهد القرآن به، وما يزال التحدي قائماً.

---

(١) الشيخ: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" ج٦ ص٤٣١ الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢) المعلوم أن الكتب المقدسة لدي أصحابها أنزلت شفوياً، وأنها كتبت بعد وفاة موسي (عليه السلام) بالنسبة للعهد القديم، وبعد انتقال عيسي (عليه السلام) بالنسبة للعهد الجديد.

(٣) د. جورج فورد، سيرة المسيح، ص١٤، ط كنيسة قصر الدوبارة بالقاهرة، ١٩٨١م، وهذه الشهادة من كاتب معاصر لا يمكن أن تسقط من الحسبان، وبخاصة أن الذين ترجموا الكتاب وقاموا علي طباعته ونشره وتوزيعه هم المعنيون بالدراسات المسيحية أو الديانة المسيحية.

أضف إلي ما سلف أن ما ذهب إليه الحداثيون من تسمية القرآن الكريم بالخطاب النبوي مثلاً إنما يسقط ما بأيديهم من وجود خلاف وفروق تعبيرية بين سور القرآن المكي والمدني، فهذا مما يعبر عن افتقاد الحداثيين مبادئ البحث العلمي(١)، وقد فعل خيراً الدكتور الريسوني حين قدم نقد مركزا لما يتعلق بالغاية من تسمية القرآن الكريم بالخطاب النبوي مؤكداً أن ذلك" لا يخلو من دلالة قدحية وحمولة أيدولوجية، والمقصود منه:

(أ) زحزحة تفرد النص القرآني، وقطع صلته بالمصدر الرباني.

(ب) جعل النص القرآني في دائرة النصوص المحرفة، وعده نسخة منقحة من بعض الحشو الذي اعتري التوراة والإنجيل.

(ج) تغيير وظيفة النبي من مسار التبليغ إلي مسار الإنشاء، ومن دور التلقي إلي دور الإرسال، وكفي بذلك تحريفاً للدين وتلبيساً علي الخلق(٢).

أجل إن تلك التسمية التي افتعلها الحداثيون، وحاولوا إلصاقها بالقرآن الكريم لشهادة قائمة في وجوههم بأنهم يسعون إلي ما حرم الله ومحادته فيما أنزل ومثوى الكافرين النار.

٣- التسمية بالحدث القرآني:

يعتقد الحداثيون أن القرآن الكريم لم يعد مصدراً إلهياً، وإنما هو حدث عرض وانتهى، أما لماذا؟ فلزعمهم أنه يتعارض مع منهج البحث العلمي، ولذا سارعوا إلي القول بأنه نتاج تجربة فردية قام بها محمد في إطار زمان ومكان محددين وهذان الإطاران يسمحان لمن يتناوله أن يطلق عليه من التسميات ما يشاء؛ لأن القداسة زالت عنه، ودارت قضاياه حول صياغة ثلاثية هي التاريخ،

---

(١) راجع لأركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص١٦، في العرض، وللدكتور: قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبر، ص٢٣٠-٢٣١ في الرد.

(٢) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبير، ص٢٣١.

واللغة، والفكر، ويعتقدون أن ذلك يمكن ملاحظته في المادة التاريخية وكونه نتاجاً بشرياً[(١)].

وحيث أن القرآن لم يعد من وجهة نظرهم قائماً علي المصدر الإلهي فلا مانع من تسميته بالحدث القرآني، وسوف أعرض لتلك التسمية، ثم أناقشها طبقاً للمنهج الذي سرت عليه.

(أ) العرض:

يذهب الحداثيون إلي أحقيتهم في إطلاق أسماء علي القرآن الكريم، واعتبارها صحيحة من وجهة نظرهم، أما لماذا؟ فلأن المادة اللغوية التي يعولون عليها بالنسبة للقرآن الكريم يعتبرونها اختفت تماماً، وما دامت قد اختفت فمن حقهم إطلاق مصطلح أو تسميته الحدث القرآني بناء علي استعمال المصطلح الألسني في التعبير عن القرآن، ويفرقون بين الكتاب، والقرآن، والفرقان مع أنها تسميات إلهية[(٢)].

يقول هاشم صالح: "إن المادة اللغوية للقرآن غابت عن أنظارنا بسبب الهيبة العظيمة التي تحيط به"[(٣)]، وميزة القرآن، الألسنة هي أنها تحيد الهيبة، ولو للحظة من أجل فهم التركيبة النصية، أو اللغوية للقرآن[(٤)].

---

(١) راجع لمحمد أركون، نافذة علي الإسلام، ص٥٨، ترجمة صباح الجهيم، ط (١) بيروت دار عطيه للنشر ١٩٩٦م.

(٢) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبر، ص٣٢١.

(٣) هذا نعي منهم علي أن القرآن في الماضي لم توجه إليه سهام النقد، وظلت هيبته مانعة من تسلل النقد إلي أبنيته وبلاغته ولغته، وهو اعتراف صريح بالعجز الممتد قروناً منذ نزل القرآن الكريم، إلي يومنا هذا، واعتقد أن تلك شهادة للقرآن الكريم بعجز الجميع عن النيل منه.

(٤) هاشم صالح، تعليقات هاشم صالح علي كتاب القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني، هامش ص٢٤٢.

وبناءً عليه ذهب الحداثيون إلي أن تلك اللحظة التي أمكنهم تحيد الهيبة والعظمة القرآنية سمحت لهم باستخدام مصطلحات أطلقوها علي القرآن الكريم بديلاً عن التسمية الإلهية التوقيفية.

ويعتقد الكثيرون منهم أن استعمال مصطلح الحدث القرآني وإطلاقه على القرآن الكريم، هو الذي يجب التمسك به، أما لماذا؟ فلأن التسميات الأخرى تقع عليها حُجب تواري الحقيقة، وتضلل المؤول، بينما التسمية بالحدث القرآني جعله يحتفظ ببعده الأثير والأنطولوجي، وبشكل إضاءة لما هو كائن"(١).

وبناءً عليه فإن مصطلح الحدث القرآني يراه الحداثيون يتساوى مع كل من مصطلح الحدث النبوي، والخطاب النبوي، والخطاب الشفوي، والظاهرة القرآنية، غير أن هذا الذي اعتمد عليه أصحاب القول بالحدث القرآني توجد له ظواهر كثيرة فيما خلفوه من مكتوبات قامت في الأصل علي غير أسس، أما لماذا؟ فلأن الحداثة إذا كانت تدعو إلي انتصار العقل وتمجيده وإثبات المعقول، واستبعاد اللامعقول، فإن القول بأحقيتهم في تسميات القرآن الكريم كاشفة عن وقوعهم في دائرة اللامعقول، وبناءً عليه تدور الدائرة عليهم، وتبقي تسميات القرآن الكريم إلهية.

غير أن الحداثيين، وهم يتخلصون من التسمية الإلهية للقرآن الكريم ويضعون بدلاً منها الحدث القرآني إنما يخطئون المنهج الذي أعلنوا سيرهم فيه، ووقوعهم أسرى تحت أقدامه(٢).

لقد أعلن ألن تورين أن القول بأحقية الحداثيين في إطلاق تسميات علي القرآن ربما تدخل في نطاق المعقول من حيث "إنها تدعو إلي انتصار العقل وتمجيده"(٣).

---

(١) علي حرب، نقد النص، ص٦٢، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب

(٢) سوف أتناول هذا الجانب أثناء المناقشة حتى لا تختلط عملية العرض بعمليات المناقشة.

(٣) ألن تورين، نقد الحداثة، ص٤٦، ترجمة أنور مغيث، المجلس العربي للثقافة بالقاهرة ١٩٩٧م.

ثم إن القول بأحقيتهم في تسمية القرآن الكريم بالحدث القرآني يمثل صورة المنهج الذي ساروا عليه، وفي ذات الوقت يكشف عن القواعد التي انطلقوا منها، يدل عليه أننا متى تأملنا القول بأن الحداثة ثورة علي الدين وتمرد علي أحكامه، وصراع مع الماضي بمقدسه وتراثه وإثبات الجديد[1]. ادركنا حجم المخططات التي يقصدونها للنيل من العقيدة الإلهية، دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين.

وبناء عليه تكون عملية استبدال لفظ القرآن بالحدث القرآني لا تقوم علي أصول صحيحة بقدر ما هي حركة قصد بها تجريد هذا المصطلح الشرعي بما له من هيبة وقداسة وعظمة، وهو اتجاه مدمر حتى وإن تبني أو زعم الحداثيون غير ذلك.

أجل إن تسمية القرآن الكريم بالحدث القرآني قد سار عليها الحداثيون جميعا، ونقلت أثارهم إلي الباحث المعرفي، ومن الشواهد عليه ما ذهب إليه طيب تيزيني من القول بأن "مقولة كون القرآن صالح لكل زمان ومكان تمثل الهوس الميتافيزيقي"[2]، وإذا كان الهوس الميتافيزيقي هو كثرة الاستشهاد بأمور الغيب، فإن الحداثيين يحاولون نقد هذا المصطلح، ورفض تلك المقولة والطعن عليها، بحيث تسمح لهم أنفسهم القول في القرآن بما يشاءون، تسمية، وتنزيلاً وأحكاماً، ولابد من الوقوف عند قضية أحقية الفكر الإنساني في نقد القرآن من كافة الجوانب، ويعتقدون أن ذلك ناتج العلم الحديث.

---

(١) محمد رشيد ريان، الحداثة والنص القرآني ص٢٤، وهو في الأصل رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا كلية الشريعة ١٩٩٧م.

(٢) طيب تيزيني النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص١١٥ ط دار الينابيع بيروت الأولي.

يقول هشام جعيط: " إن أهم شيء أتي به العلم الحديث بخصوص القرآن هو تورخته"[١]، إن هذه التورخه تعين كثيراً علي فهم المعاني التي أتت بها الـــدعوة المحمدية"[٢].

(ب) المناقشة:

غير خفي أن ما ذهب إليه هؤلاء من أحقيتهم في تقـــديم تســـميات للقـــرآن الكريم غير الواردة عن الله تعالي في كتابه وسنة رسوله هو خـــروج مقصـــود علي أصول العقيدة وقواعد الشرع، وهو من السمات البارزة بالنسبة للحـــداثيين قديماً وحديثاً، لكن تبقي مسألة متعلقة بمناقشة تلك التسميات وستدور من خـــلال ما يلي:

١- افتقاد الأسس العلمية: ومعناه أن كل جماعة بذاتها تستخدم مصـــطلحات بعينها، والقاعدة لا مشاحة في الاصطلاح هذا بالنسبة للمعارف الإنسانية، فـــإذا كان التداخل علي هذا المصطلح أو تلك القاعدة يمثل خروجـــاً علـــي القواعـــد العلمية، فما بالنا إذا كانت تلك التسمية بالقرآن الكريم هي من كلام الله، ثم يأتي الحداثيون يطالبون بإزاحة التسمية الشرعية، وأن يوضع بدلاً منها مصـــطلح لا يمت إلي القرآن الكريم بصلة[٣].

---

(١) المراد بالتورخة في أحد معانيها أنه كتاب يجري عليه ما يجـــري علـــي كافـــة الكتـــب الأولي، فإذا مر عام أو دهر، انتهت فاعليته، وبالتالي تنتهي قداسته، وهي أحكام فاســـدة وأقوال باطلة.

(٢) هشام جعيط تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ص١٨٥، ط٢، دار الطليعـــة بيـــروت، وراجع لمحمد عابد الجابري، مدخل إلي القرآن، ص٢٥٩، ط١، مركز دراسات الوحدة، بيروت.

(٣) رعاية المصطلح ضرورة معرفية، فإذا تمت المخالفة سقط الاستعمال نفسه إذ المصطلح هو: اللفظ المتفق عليه بين جماعة بذاتها في علم من العلوم، أو فن من الفنـــون. الســـيد الشريف الجرجاني، التعريفات باب الهمزة، ص ٣٨.

٢- **الأحكام الفجة، ومعناه:** أن الحداثيين في محاولتهم استبعاد تسمية القرآن الكريم بما جاء من عند الله تعالى هو حكم لا يقوم علي أصول علمية، وليس له أصل شرعي، أما لماذا؟ فلأن التعبير عن القرآن من حيث التسمية الإلهية هو تعبير رقي بالقرآن، ولا يعرف إلا به، وهو في ذات الوقت المصطلح الإسلامي الأصيل الذي يمتلك شرعية التداول انطلاقاً من المأثور الصحيح، وإجماع أهل العلم المعتبرين(١)، وبناءً عليه فإن تصور الحداثيين قدرتهم علي وضع أسماء للقرآن الكريم غير ما سمي به شرعاً، إنما هو تصرف غير مقبول، وخروج علي القواعد الشرعية والعقلية والمنطقية أيضاً.

٣- **استعمال البدائل الفاسدة:** ومعناه أن ما ذهب إليه الحداثيون من تسمية القرآن بأنه حدث قرآني، فيه استعمال البديل الفاسد، أما لماذا؟ فلأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالد، وهو الذي تحدي به الله الإنس والجن، وأبهر العرب بإعجازه البياني، وأبهر أهل العلوم الحديثة بإعجازه العلمي، يقول الكتاني: تستوقفنا في مجال تحديد طبيعة القرآن(٢)، ثلاثة معطيات أساسية هي:

أولاً: كون القرآن مستقلاً عن ذات الرسول استقلالاً تاماً موضوعياً لا يدع مجالاً حتى للظن ببشرية القرآن(٣). وهذا في حد ذاته كاشف عن ضلال الحداثيين، وعجزهم عن الفهم.

---

(١) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبر، ص٢٣٥

(٢) المراد بطبيعة القرآن هنا ما يتعلق بمفهومه وتسمياته، وأحكامه ووجوه إعجازه؛ لأن ذلك كله داخل في نطاق طبيعة القرآن الكريم، ويعبر عنها أحياناً بالموضوعات العامة للقرآن الكريم. الشيخ: محمود طلعت، القرآن الكريم ووجوه إعجازه، ص١٠١-١٠٢ المكتب العصري ١٩٩١م.

(٣) هذا المعطي كاشف عن زيف شبهات الحداثيين من كل جانب؛ لأن القرآن الكريم ذات مستقلة عن الرسول (ﷺ)، فالقرآن كلام الله، والرسول مبعوث من الله، وفي ذات الوقت الرسول مبلغ القرآن عن الله، والقرآن شاهد للرسول بأنه مبعوث من قبل الله تعالي.

ثانياً: استقلال القرآن عن السياق التاريخي للعصور في محتواه وأسلوبه و منطلقاته[١].

ثالثاً: تحدي القرآن لمخاطبيه بالإعجاز[٢]، والمعطيات الثلاثة تدل بمجموعها علي أنه ليس من جنس كلام البشر[٣].

وبناءً عليه تكون عملية التسمية بالحدث القرآني وأمثالها مما اعتبره الحداثيون شبهات، إنما هو من الأخطاء العقدية والعلمية التي وقعوا فيها،

---

(١) هذا الاستقلال للقرآن الكريم معبر عن عالمية القرآن ودوامه؛ لأن القرآن الكريم قائم إلي يوم القيامة، وبناءً عليه فهو الذي يحتوي العصور، أما العصور فلا تحتويه، فعن الحارث أنه قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. الإمام أبو عيسي الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ج٥، باب ما جاء في فضل القرآن، ص٢٢، رقم الحديث [٢٩٠٦] وهو موقوف علي الإمام على (رضي الله عنه). المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

(٢) يعتبر ذلك المعطي دال بذاته علي أن ما يذكره الحداثيون أو غيرهم، سيظل شاهداً علي أنهم ما فقهوا الوجه الذي جاء منه القرآن الكريم، ولو فقهوا لعلموا أن جهودهم كلها ضاعت هباءً منثورا.

(٣) الكتاني، جدلية العقل والنقل، ص١٥٠، وراجع د. محمود مسعد، القرآن والإعجاز، ص ١١٧، المكتب العلمى، ٢٠١١م.

وينطبق عليهم وأمثالهم الوصف بما جاء في الذكر الحكيم من قوله تعالي:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[(١)]. ومن المؤكد أن كل من تناول القرآن الكريم بشيء من ذلك ينطبق عليه ذات الوصف.

٤- **التأسيس للطعن علي البدهيات:** من المؤكد أن محاولة الحداثيين تسمية القرآن بما لم يرد عن الله تعالي فيه طعن على البدهيات، ومن يطعن فيها لا يسمع لقوله، وإذا أردنا الصورة التطبيقية، لهذا الجانب في الفكر الحداثي، فها هو قول أحدهم: "إن القرآن تشكل في عشرين عاماً"[(٢)]، فهذا القول فيه إنكار صريح للبديهيات إذ كيف تختصر مدة ثلاث وعشرين عاما هي زمن البعثة المباركة في عشرين عاماً حسب ما يزعم هؤلاء أليس في ذلك إنكار للبدهيات العقلية حيث تتساوي مدة ثلاثة وعشرين، وهي الصحيحة مع عشرين، وهي المكذوبة.

كما أنهم فيما زعموا "إنكار صريح لسابقه وجود القرآن الكريم في اللوح المحفوظ"[(٣)]، المدلول عليه بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[(٥)]، والمعنى

(١) سورة فصلت الآية (٢٦).

(٢) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص٢٤، والمعلوم عندنا نحن المسلمين أن القرآن الكريم أنزل على سيدنا محمد (ﷺ) مدة بعثته الشريفة حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهى مدة ثلاث وعشرين سنة.

(٣) زكى مصطفى محمد البشيرة، دعوى تاريخية النص القرآني عند الحداثيين العرب، ص١٩٣، مجلة الميزان للدراسات الاسلامية والقانونية، جملة بحوث ومقالات، دار المنظومة، ٢٠١٨م.

(٤) سورة الواقعة الآيتان (٧٧-٧٨).

(٥) سورة البروج الآيتان (٢١-٢٢).

أنه قرآن مجيد في الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا وهو غير مخلوق، مكتوب في لوح محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه أيا كانت هويتهم[1]، كما أنه محفوظ عند الله تعالى، فلا يتمكن أحد من الطعن عليه أو النيل منه.

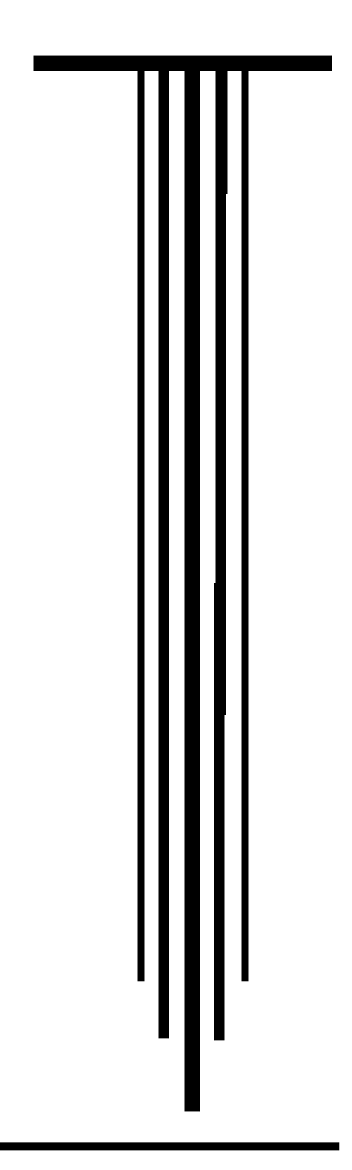
غير خاف أن تلك التسميات البعيدة عن النقل المنزل تدل علي حقد دفين من القائمين به، وتدل في ذات الوقت علي أنهم قد تجرعوا ما ارتضعوا من ألبان فاسدة اغتذت بها عقولهم، وصاروا يبثونها سموماً بغية النيل من القرآن الكريم، والدين الإسلامي والنبوة الخاتمة بسيدنا محمد (ﷺ) ولن ينالوه، وسوف ترتد سهامهم إليهم، والله غالب علي أمره لكن أكثر الناس لا يعلمون.

وحيث تناولت بعض تلك التسميات من ناحية العرض والمناقشة فقد رأيت الاكتفاء بها مع ملاحظة أن ما ذكرت قد يكفي للتطبيق علي باقي التسميات من ناحية النقد والموازنة.

(١) العلامة أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج٢٢، ص١٩٨، مؤسسة الرسالة.

الفَصۡلُ الثَّالِثُ

الفصل الثالث شبهاتهم حول كتابة القرآن الكريم وتدوينه



الثابت أن الله تعالي أنزل القرآن الكريم علي قلب النبـــي محمـــد (ﷺ)، وأن الناقل له هو ملك الوحي جبريل الأمين الذي تولي عمليتي النقل مع الإقراء، ثم المراجعة التي ثبت قيام جبريل الأمين بها مع النبي محمد (ﷺ) علي مدي ثلاث وعشرون سنة هي مدة نزول القرآن الكريم، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضـــان، حـــين يلقـــاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القـــرآن، فكـــان رســـول الله (ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة[1].

والثابت أيضاً أن هذه المراجعة دلت علي أن قلب النبي محمد (ﷺ)، وعقلـــه الشريف لم يفلت منهما حرف واحد نسياناً أو تبديلاً، وأنـــه (ﷺ) فـــي مراجعـــة جبريل له فيما حفظ كاد أن يسبقه، فجاء التوجيه القرآني:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كان رسول الله (ﷺ) يعالج من التنزيـــل شـــدة، فكـــان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعـــالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾؛ "فكان رسول الله (ﷺ) بعد ذلك إذا أتاه جبريل (عليه السلام)، واستمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي (ﷺ) كما أقرأه"[3].

ومن المعلوم يقيناً أن الرسول (ﷺ)، كان له كُتَّاب من المجيدين الأمناء الذين جمعوا بين الإيمان التحقيقي، والإسلام التطبيقي، والإحســـان القلبـــي؛ ففـــازوا

---

(١) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ج١، ص٨، والإمـــام مســـلم، صـــحيح مســـلم، ج٤، ص١٨٠٣، حديث ٢٣٠٨).

(٢) سورة القيامة الآيات (١٦-١٩).

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، ج٩، ص١٥٣رقم (٧٥٢٤)، وصـــحيح مســـلم، ج١، ص٣٣٠، رقم (٤٤٨).

برضوان الله، واشتهر منهم كثيرون كتبوا إملاء من الرسول (ﷺ)، ومراجعة بين يديه بما لا يدع مجالاً لأدني شبهة أو تسلل أدني شك من الشكوك، وقد دخلوا جميعاً في نطاق الوعد الإلهي:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، ومن أكثر الذين تلقوا عن النبي (ﷺ) وباشروا كتابته بين يديه (ﷺ)، زيد بن ثابت، وأبو زيد سعد بن عبيد الأنصاري، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل[٢].

كما أن قدسية القرآن الكريم جاءت من جوانب أربعة متضافرة كل واحد منها كاف بذاته لإثبات قداسة القرآن الكريم.

الأول: وهو المصدر الإلهي، فالله (ﷻ) هو المتكلم بالقرآن؛ لأن القرآن كلامه، ولا يجادل في هذا ذو عقل، بل كل خصم يعرف أن الله متكلم، وأن الكتب التي تكلم بها كان أخرها إلي البشر نزولاً ومهيمنا عليها جميعا، هو القرآن الكريم الذي جمع الله فيه الأهداف والغايات التي سبقت في كل الكتب، وجاء مهيمناً عليها من جميع مناحي الحياة[٣].

---

(١) سورة الحجر الآية (٩)، وتعتبر الكتابة المتواترة للقرآن الكريم أحد مظاهر الحفظ الإلهي له، بحيث لا تبقي مجالاً لقول إلا انكشف زيفه وباطله.

(٢) راجع الإمام ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٩٢، ج٣، ص٦٨، ج٦، ص٥٩٢.

(٣) هذا المصدر مقدس، ولا يستطيع أحد أن يجادل بشأنه من حيث أن الله هو المتكلم والقرآن من كلامه، قال تعالي:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة ص الآية (٢٩)، وقال تعالي: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ سورة الأنعام الآية (٩٢)، وقال جل شأنه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ سورة الأنبياء الآية (٥٠).

الثاني: هو الناقل للقرآن الكريم، وهو سيدنا جبريل الأمين، الروح القدس، ولا يوجد بين المليين من ينكر دور جبريل الأمين في نقل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ كُتب بقلم رب العزة إلي قلب النبي محمد (ﷺ) الذي خلقه الله معداً لاستقبال ذلك المنزل، فكان دور جبريل الأمين النقل من اللوح المحفوظ إلي القلب المبارك، وهذا في حد ذاته كاشف عن جانب من جوانب القداسة للقرآن الكريم كله[1].

ومحل الشاهد أن الناقل للقرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلي قلب النبي وصف بالقداسة، فلابد أن يكون المنقول من جهته هو أيضاً موصوف بالقداسة، فيكون القرآن الكريم مقدسا من جهة منزله، وهو الله تعالى، ومقدسا من جهة ناقله، وهو ملك الوحي، قال ابن كثير كان (ﷺ) يبادر إلى أخذ القرآن، ويسابق الملك في قراءته فأمره الله (ﷻ) أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن يبينه له ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وايضاح معناه.[2]

الثالث: المتلقي، وهو قلب النبي محمد (ﷺ) الذي جعله الله خالياً من كل شيء سوي الاستعداد لقبول هذا المقدس قال تعالي: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾[3] وقد ذهب أهل العلم إلي أن هذا القول الثقيل هو القرآن الكريم الذي

---

(١) مما يدل علي أن جبريل الأمين يوصف فعله بالقداسة ما ورد في الحديث الشريف: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته» الشيخ: أبو نعيم الأصبهاني "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، ج١٠ ص٢٦، الناشر: السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٢) الإمام ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج٣، ص٥٧٦.

(٣) سورة المزمل الآية (٥).

تشبع به قلب النبي محمد (ﷺ) وعقله، ومن ثم فالرسول (ﷺ) قلبه مقدس من تلك الناحية بالفعل الإلهي وعقله مقدس أيضاً بالإشارة من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، فاستقر بهذا أن القرآن الكريم له قدسية لا يجادل فيها إلا من وقف عقله عند دائرة العجز، ولا يريد تخطيها، أو تشبع بالهوس ولا يريد أن يخرج منه[2].

الرابع: ما يتعلق بالمتلقين عن الرسول محمد (ﷺ) – كتبة الوحي– وباقي الأمة الإسلامية جيلاً عن جيل حتى تقوم الساعة، ومصدر قداستهم الإجماع المنعقد الذي لا ينخرم أبداً إن شاء الله.

غير أن الحداثيين يحاولون النيل من كتابة القرآن الكريم وقداسته، معتقدين أنهم إن بلغوا تلك الغاية فقد نالوا من القرآن الكريم المنال الذي يوجههم المستشرقون وخصوم الإسلام إليه، ولن يتحقق لهم ذلك إن شاء الله تعالي.

بل إن الحداثيين يعلنون حيناً بعد آخر رفض القول بقداسة القرآن الكريم، وثبات نصوصه، وإحكام كتابته، يقول داعيهم: "آن أوان المراجعة والانتقال إلي مرحلة التحرر من سلطة النصوص وحدها؛ بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن فوراً قبل أن يجرفنا الطوفان"[3].

---

(١) سورة النجم الآية (٤).

(٢) الغريب أن الحداثيين يقرون بالجوانب الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها، وأنهم لا يفترون عن القول بعبارة: "إن الله في القرآن هو المتكلم دائماً، وأن محمدا هو المتلقي، وأن جبريل هو الوسيط". د. محمد السعيد بن السيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم، في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ص٥٣٦.

(٣) نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الايديولوجية الوسطية، ص١٠٣، ط١، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

ولا نستغرب هذا القول من هؤلاء الذي يدعون إلي التشكيك في كتابة القرآن الكريم، ونقله وقراءته وأحكامه، لأنهم إنما يتمردون علي ما جاء من عند الله، ومتى راجعوا أنفسهم ربما وقعت لهم الهداية، ومتى استمروا علي غييهم نالت منهم الضلالة، إنهم يرمون الكتاب الحكيم بالإغلاق النصي، والإرهاب الفكري، قاتلهم الله، ويرمون الفكر الإسلامي بالتفسير الرجعي، وممارسة دور الحوى والمشعوذين(١).

ولئن كانت هذه المسألة القائمة لديهم علي التشكيك في كتابة القرآن الكريم وقداسته بغرض النيل من الإسلام رباً، وديناً، ونبياً وكتاباً فقد بات من الضروري عرض شبهاتهم، وبيان ما يترتب عليها من استقبال الضلالات، واستنتاج أوهام، وأساطير وخرافات، وسيكون ذلك علي النحو التالي:

أولا: شبهتهم حول كتابة القرآن الكريم:

(أ) العرض:

يذهب الحداثيون إلي القول بأن القرآن لم يقيض له كلا من الكتابة والتدوين إلا بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) في غضون خلافة عثمان(٢)، بل يزعمون إن صيغته النهائية استقرت في القرن الرابع الهجري، ومن ثم فإن البلاغ الشفهي، وهو الوحي لم ينقل كله إلي المصحف(٣)، وما دام البلاغ الشفوي لم ينقل كله

---

(١) راجع نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٠٢، ط ١، مطبعة مدبولي، ١٩٩٦م.

(٢) هنا الخلط واضح بين كتابة القرآن الكريم وجمعه، بما يؤكد أن الحداثيين يفتقرون الوقوف علي المعلومات الصحيحة، بل اليقينية، وهذا في حد ذاته كاشف عن نواياهم التي خرجت بعيداً عن الموضوعية؛ لأن خلافة عثمان كانت بعد أبر بكر، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما).

(٣) راجع لمحمد أركون نافذة علي الإسلام ص٦٥.

إلي المصحف، فمعني هذا إلغاء القول بصحة كتابة القرآن الكريم، ومراجعته من ناحية النبي محمد (ﷺ) وبين يديه، وتلك جريمة يرتكبها الحداثيون، وهم علي يقين بكذب ما يزعمون.

بيد أن هؤلاء حينما شككوا في كتابة القرآن الكريم، وجمعه بين يدي الرسول (ﷺ) حاولوا الوقوف إلي شفا جرف هار، فظنوا أنهم بذلك يقضون علي القرآن الكريم[١]، والتمسك به، بل يقضون علي الإسلام نفسه، ويرتبون علي ذلك مترتبات ساقطة، مفادها أن القرآن طالما الذي كتب هو البلاغ الشفهي، وأن صيغته النهائية استقرت في القرن الرابع الهجري، فمن المؤكد أنه قد اعتراه ما عتراه من البتر التاريخي عندما فرضت نسخة واحدة منه بقوة السلطة"[٢].

ولست أدري ما إذا كان هؤلاء قد عجزوا عن فهم السلطة في الإسلام، وغاب عنهم مفهوم قوتها داخل النصوص الإسلامية، فالسلطة إنما هي سلطة تنزيله من الخالق العظيم، وتبقى سلطة النص القرآني قائمة في كافة أنماط الحياة، بجانب ما جاء في رعاية مصالح المكلفين، بقاعدة افعل تؤجر ولا تفعل حتى لا تُحرم[٣].

---

(١) أهل الضلال لا يلتفتون إلى التحدي القائم حتي يوم الدين في قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر الآية (٩).

(٢) محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي ص١٠٩.

(٣) الإسلام دين إلهي سلطته علي القلوب المنيرة، بحيث تزداد نوراً قائماً علي الهداية ورعاية أحكام التنزيل، قال تعالي: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ سورة الإسراء الآية (٨٢).

ثم إن تلك السلطة عمادها في القاعدة الممتدة المعبرة عن طبيعة القرآن الكريم، وأنه الحقيقة قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(١).

بيد أن الحداثيين يوهمون بالنسبة لكتابة القرآن الكريم حين ينطقون بأن الكتاب الكريم تشكلت مدونته (النصية الرسمية المغلقة بعد تلك المدة، وليس المدون هو القرآن ذاته، إنما المدون هو ما يدل على النص، وليس ذات النص(٢).

لم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما اعتبروا أسباب النزول وسيلة لبلوغ تلك الغاية، أما لماذا؟ فهم يرون أن ما ذهب إليه علماء علوم القرآن من القول بقاعدة العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ(٣)، تؤكد أن كتابة القرآن حدث فيها تداخل بين النص الشفوي والفهم له، فيذكرون أن تلك القاعدة يؤدي التمسك بها إلي إهدار حكمة التشريع فيما يتعلق بالحلال والحرام في مجال الأطعمة والأشربة، كما يهدد الأحكام ذاتها(٤).

وما دام النص قد اختلط فيه الفهم بمادة النص، فلم يعد النص سليماً ولا كتابته مقبولة، وإنما الذي يجب قبوله أن الموجود بين أيدي الناس ليس هو القرآن، إنما هو المعني الذي تداخل مع النص، وصار جزءًا منه.

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص١٨٩، وراجع له الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص٨١.

(٣) القاعدة التي عليها القرآن هي العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لكن الحداثيين عكسوا حتي يحققوا غاياتهم، ويكشف في ذات الوقت عن كذبهم وضلالهم.

(٤) راجع نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في مفهوم القرآن، ص١١٧.

بل إن هؤلاء الحداثيين يسعي جمعهم إلي القول بأن قضية إنزال القرآن وتنزيله إنما هي قضية يجب رعاية جانبيها، ومتى روعي الجانبان فقد بان أن كتابة القرآن جاءت متأخرة جداً كالحال مع التوراة والإنجيل، ويرون أن التفرقة ضرورية، بل هي مفتاح لفهم الكتاب بشقيه النبوة والرسالة(١)، وسلم إلي مراقي التأويل الناضج وتلك عبارتهم الإنزال: "هو عملية نقل من صيغة غير مدركة إلي صيغة مدركة، ويرون أن المدركة هي الإشهار والإعلام"(٢)، ويستشهدون علي هذا الإشهار بوروده في القرآن الكريم بصيغة الإنزال تارة، في قوله تعالي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣)، بحيث يكون هذا الإنزال معبراً عن قرآن غير قرآن، فالقرآن الذي بين أيدينا يجب أن يكون هو غير القرآن الموجود في اللوح المحفوظ، وأن صيغتهما مختلفة، مستدلين علي ذلك بظاهر قوله تعالي: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤).

بل إنهم لسفههم العقلي يعتقدون وجود تلازم في القرآن الكريم بصيغة بين الجعل والإنزال، وهذا التلازم يعبر تعبيراً واحداً، وينتهي إلي نتيجة واحدة،

---

(١) من أكثر ما يثير في النفس جوانح الأسي، أن هؤلاء الحداثيين يتسمون بأسماء إسلامية، وربما سعوا إلي تصدر المشهد الإعلامي، أو الجانب الدعوي، وبثوا تلك السموم بين الأغرار، ومن يثقون فيهم، فتأتي لا قدر الله النتائج سلبية توقع الشبهة في النفوس الضعيفة، وتمح معالم اليقين من الصدور، حينئذ يكون علي صاحب الإيمان التحقيقي المبلغ عن الله تعالى، ورسوله (ﷺ) أدوارا متعددة، وواجبات ربما يتعني في القيام بها كلها، والله غالب علي أمره ونسأله العون والسداد.

(٢) محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص١٥٣.

(٣) سورة يوسف الآية (٢).

(٤) سورة الزخرف الآية (٣).

وهي أن كتابات القرآن التي بين أيدينا ليست هي كتابات القرآن التي في اللوح المحفوظ.

أما التنزيل، وهو الجانب الثاني أو المفتاح لفهم الكتاب بشقيه النبوة والرسالة لدي الحداثيين، فعرفوه بأنه: "نقله مادية حصلت خارج الوعي كالنقل بالأمواج، وذلك عن طريق بديل علي مدي ثلاثة وعشرين عاماً"(١).

من المؤكد أن هذا التداخل الغير منطقي كاشف عن ضلال مبين، حيث سبق تقريرهم تقليص مدة نزول القرآن الكريم في عشرين عاما، فأي القولين يمكن اعتماده بشأنهم، أنهم يحققون رغبة القس تاكلي التي قال فيها "يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس –يعنى المسلمين– أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا"(٢).

لقد سعي الحداثيون إلي التفرقة بين لفظ الإنزال والتنزيل الوارد في القرآن الكريم بصيغتهما المقدسة، ثم إزاحة القداسة عن تلك المصطلحات بغرض التمكن من الدخول إلي الطعن في القرآن الكريم كتابة، وقداسة، ودليلنا عليه تفرقتهم بين الإنزال، وهو عملية نقل المعني، والتنزيل، وهو عملية النقل المادية، ثم إعلانهم بأنه إذا ما أريد لفظ الإنزال وحده في وصف شيء، فهذا معناه أنه دخل مباشرة إلي صيغ المعرفة والإدراك من حيث أنه ليس له وجود مسبق في اللوح المحفوظ، معللين ذلك بأن الإنزال هو مرحلة الانتقال من اللوح المحفوظ إلي صيغة قابلة للإدراك(٣).

---

(١) محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص١٥٣.

(٢) أ. محمد جمعة، رد افتراءات المستشرقين على آيات القرآن الكريم، ص٢٦٣.

(٣) من الغرائب التي لم يفطن إليها الحداثيون مع تقريرها بداخلهم، وتكرارها علي ألسنتهم، أنهم يذكرون الشيء بلفظه ويفتقدون المعني القائم به، يدل عليهم أنهم في تعريفهم الإنزال فان المقصود به القرآن الكريم، فتراهم مرة يقولون هو نقله من صيغة غير=

ثم يعلنون أن هذه المرحلة الصياغية لا تتطلبها الأشياء التي ليس لها وجــود مسبق في اللوح المحفوظ[1]، وغايتهم من ذلك التشكيك فــي كتابــات القــرآن، وكيفية التعامل معها، بل أرادوا أن يفتحوا باباً يلهون فيه، أو يلغــون، وكــأني بالقرآن الكريم، وهو يتحدث عن تلك الأفكار الحداثية مبيناً أنها من صنع أهــل الكفر قديما، قال تعالي: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُـرْآنِ وَالْغَـوْا فِيـهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[2]، وقد أعاد تكرارها الحداثيون.

لقد لجأ هؤلاء إلى صياغات وتراكيب لا قيمة لها يحــاولون الطعــن علــى الكتابة القرآنية، منها: الزعم بالتبعثر الفكري في النص القرآنــي، والانخــرام النصي، والتأكيد علي فكرة النص الهادم الذي لا يجعل للانسجام مكاناً بقدر مــا بُين عن فساد، قاتلهم الله أني يؤفكون.

يقول أركون نادراً ما تشكل السور القرآنية وحــدات نصــية منســجمة"[3]، وغايتهم من ذلك الطعن في كتابة القرآن؛ لأنه إذا كانت وحداته النصية ليســت منسجمة فهذا يعني أن الذين كتبوه جاءت مستوياتهم متباينة، فــأدي ذلــك إلــي بعثرة النص، وانخرام الوحدة النصية، وفي هذا ما فيه مــن التعلــق بالأوهــام والسير خلفها دون مراجعة صحيحة لما يتدارسونه.

=مدركة إلي أخري مدركة، ومرة أخري يقولون: هو إنزال من مرحلة الانتقــال مــن اللوح المحفوظ إلي صيغة قابلة للإدراك، ولما كان المعلوم في المعارف هو أن الغيبيات وما فيها كاللوح المحفوظ يعتمد في الوصول اليه علي النقل وليس علــي إدراك العقــل، فقد ثبت أنهم مقرون بأن القرآن الكريم هو الذى بأيدي المسلمين إلى يوم الدين.

(١) راجع محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) سورة فصلت الآية (٢٦).

(٣) محمد أركون، القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني، ص١٤٦.

بل يذهب الحداثيون إلي أن ما يدل علي عدم انسجام كتابات القرآن وجود الفارق الكبير بين آيات القرآن نفسها، ويسعي الحداثيون إلي تطبيق ما يسمونه نظرية التداخل النصانية التي أدت إلي القطيعة بين القرآن والمصحف وأبانت عن تفكير غير سليم حين تقايس كتابة القرآن، وتدوينه بكل من التوراة والإنجيل[1].

ومن ثم فإن موقف الحداثيين من كتابة القرآن الكريم ينم عن رغبة في النيل منه، وتخلية الإسلام من احد مصدرية الأساسيين، فإذا انسحب القرآن لا قدر الله من ميدان عرض الإسلام والدفاع عنه، توهموا إمكانية القضاء عليه، ولن يتمكنوا منه، قال تعالي: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2]، وقال تعالي:﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[3]، والله غالبُ علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(ب) المناقشة:

البين أن الحداثيين، ألزموا أنفسهم اعتقاد ما كتبه المستشرقون غير المنصفين، واعتبروا أنفسهم أبواقا لنشر أكاذيبهم، يستوي في ذلك حداثيو الغرب وحداثيو العرب، وبناءً عليه صيغت لهم مقولة هازئة ترددت علي ألسنتهم

---

(١) الدكتور/ قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القرآن إلي أفق التدبر، ص٢٢٤، حيث يقرر أن مزاعم الحداثيين في القول بالتبعثر الفكري، والانخرام النصي لا يروج لها إلا مؤول هادم، ينسف الروابط الجامعة بين النصوص، ويهدم علائقها الداخلية بمعول النقد المجاني، أما المؤول الباني، فيطلع بتحقيق الانسجام وشد عراه بمسبار الكشف والتحليل، وملاحظة الاشباه والنظائر.

(٢) سورة الصف الآية (٨).

(٣) سورة التوبة الآية (٣٢).

واستعصت عن قبول الحق عقولهم، تلك المقولة قامت علي أن القرآن من تأليف محمد (ﷺ) وأن قصة قداسته مزيفة، واعتبروها نظرية مسلمة[(١)].

وبالتالي هم بلاشير إلي تقديم ترجمتين حول كتابيين له جعل الأول تحت عنوان "المدخل إلي القرآن"، وأثار فيه كل ما يتعلق بمسائل كتابة القرآن ورسمه، وقراءته بالمعني، بينما الكتاب الثاني جعله تحت عنوان "القرآن" ضمنه حصيلة دراسته للقرآن، ثم أخذوا يتناقلون دراسة هذا وأمثاله التي عُبئت بالعداوة علي دين الإسلام من كافة جوانبه، حتى صار من الصواب القول بأن حداثي العرب كحداثي الغرب يرددون شبهات غيرهم، وربما نسبوها إلي أنفسهم فتحملوا وزر الخطأ كما تحملوا نسبة الأفكار اللقيطة إلي أنفسهم، يدل عليه أنهم يحققون أمنيات غيرهم من أعداء الإسلام، الم يقل اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر جئت لأمحو ثلاثا: القرآن، والكعبة، والأزهر[(٢)]، ولو أنهم التزموا القاعدة القرآنية: ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾[(٣)]، لتحرروا من تلك التبعية، وأبانوا عن أنفس بريئة يمكنها أن تقع في الخطأ، ثم تتوب، وخير الخطائين التوابون، قال رسول الله (ﷺ): «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[(٤)].

---

(١) يذهب الباحثون إلي أن المستشرق الفرنسي بلاشير هو الذي تناول بالبحث تلك الأفكار وقعد لذات النظرية، وطبقها عند دراسته للقرآن الكريم. د. أنس الصنهاجي، القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية الفرنسية مناولة بلاشير نموذجاً، ص٣٦.

(٢) أ. أنور الجندي، الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون، ص٢٩.

(٣) سورة الأحزاب الآية (٥).

(٤) ابن ماجة "سنن ابن ماجه" ج٢، ص١٤٢٠، رقم الحديث (٤٢٥١) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.

وحيث عرضت موقفهم من كتابة القرآن الكريم علي النحو الذي سلف فمن المناسب أن تتم عملية المناقشة لأفكارهم من ذات الجوانب[١]، علي النحو التالي:

(١) إشكالية القياس الفاسد:

ومعناه أن الحداثيين ارتضعوا ثقافة عدائية للإسلام ديناً ورسولاً وكتاباً، وأقاموا أنفسهم متهمين الإسلام ونصوصه، وقضاة يحكمون عليه بما تهوي أنفسهم لا بما تشهد به نصوصه، ويمكن الاستدلال عليه من كلام الحداثيين أولاً حتى يتم إلقامهم جزءا مما أفاضت به عقولهم، فمثلاً هم يطعنون في كتابات القرآن، من حيث إنهم يقايسونه علي ما بأيدي الآخرين من التوراة والإنجيل، وفاتهم أن هذا القياس فاسد من جميع وجوهه[٢].

أما لماذا فلأن قياسهم فاسد مقدماته التي عمادها مساواة القرآن بالتوراة والإنجيل، أما فساد تلك المقدمات فأولاً: فهي أن التوراة عند أصحابها لم يكتبها موسي ولم يملها، وإنما كتبت بعده بدليل تعين موسي لمكان دفنه بعد موته، بجانب أن أسفار العهد القديم التوراة، كلها محل نظر[٣].

---

(١) المنهج العلمي يستلزم أن تتم مناقشة أية فكرة فيه مهما تعددت جزئياتها من خلال تلك الجزئيات، تطبيقاً لقاعدة الوصف العنواني، والمنهج التتابعي.

(٢) القياس الفاسد عند المناطقة هو الذي لا تقوم مقدماته علي أصول صحيحة من اللغة والناتج، بدليل أنهم عرفوا القياس بأنه: "قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر" د. عوض الله حجازي "المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ص١٤٢، ط٨، ١٤١٥هـ-١٩٩٤، دار الهدى للطباعة. وعرف القياس الفاسد بأنه "هو الذى يعتمد على الكذب والخداع ويسمى القياس السفسطائي من حيث إنه مؤلف من قضايا وهمية كاذبة وغرضهم مغالطة المناظر واسكاته. د عوض الله حجازي، المرشد السليم ص١٨٩.

(٣) راجع ليوتاكسل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص٢١٦-٢١٧، ترجمة د. حسان مخائيل، مكتبة الأسد بدمشق، ١٩٨٩م.

كما أن مؤلفي أسفار العهد القديم غير معروفين عند نقلته الذين أبانت سنوات التاريخ عن أنهم كانوا إما شخصيات مجهولة، أو شخصيات كتبت لها أسفار ترفع قدرها وتعلي شأنها، كالحال مع سفر استير، فيذكر ليوتاكسل: "أن سفر استير وضع لمداوة جراح الكرامة اليهودية"[١].

لقد أعلنت استير أنها قامت بخدمة جليلة علي حساب هامان رئيس الوزراء ببلاد فارس في ذلك الوقت، وعلي قتل عدد كبير من أهل تلك البلاد حتى أن استير في اليوم الخامس عشر من أزار يقيم اليهود احتفالا كبيراً بما حققته استير من قتل (٨٠٠) إنسان في مدينة شوشن وحدها و(٧٥) ألف في مدن المملكة الأخرى، واعتبرت ذلك عيداً قومياً يحتفل اليهودية به، ويصومونه احتفالا بذكر استير وصلاتها، وإنقاذ اليهود من المذبحة.

يقول ليوتاكسل: هذه الخرافة جعل الكهنة منها قصة مقدسة، دعوا إلي الإيمان بها، مع أن تصديقها أمر مستحيل"[٢]، إن الحداثيين بهذا اللغو المتزايد يحاولون تحقيق رغبات أعداء الإسلام في القضاء على الإسلام والقرآن الكريم يقول: مردخاي الياهو: "هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر، والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتابا يتحدث عنا بكل هذه السلبية"[٣]

---

(١) ليوتاكسل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص٤٩٤، وراجع سفر استير الإصحاح الأول فقرة (٤)، مع ملاحظة أن هذا السفر كتب تمجيداً لإستير اليهودية، بعد أن فعلت بالشعب الفارسي ما فعلت لصالح بني جلدتها من اليهود، فهل يعتبر هذا كتاباً سماوياً يجعل من القبول التصديق.

(٢) ليوتاكسل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص٤٩٧.

(٣) مجلة البيان، العدد ١٥٩، نقلا عن منقذ محمود السقار، تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين، ص٧، طبعة رابطة العالم الإسلامي.

ومن ثم فإن مقايسة القرآن الكريم بما كتب في التوراة يكشف عن عــورات، ليس من السهل سترها، وعيوب من الأولي أن يتوارى أصحابها.

أما مقايستها بالأناجيل (العهد الجديد) وما تلاه، فهذا دال علي جهل الحداثيين وافتراءاتهم؛ لأن كل إنجيل منها كتب عليه اسم مؤلفه، ولم ينكر ذلك أصــحابه أنفسهم[١]، كما أن هذه الأناجيل القانونية لم تكتب إلا بعد المسيح، وأقدمها بعــد ثمانين، ولم تكتب على أنها الإنجيل السماوي، بل إنما باعتبارها ســيرة يســوع المسيح[٢].

(٢) التشبع بالأحكام السبقية العدائية للإسلام:

ومعناه أن الحداثيين لا يفكرون من أنفسهم ولا يستقبلون ما جاء عن الله فــي كتابه وسنة رسوله (ﷺ)، يستوي في ذلك ما يتعلق بكتابة القرآن وتدوينه، أو ما يتعلق بالأحكام الشرعية سواء التي مصدرها القرآن والسنة أو اجتهادات علماء المسلمين القائمين علي الكتاب والسنة، ومن يراجع الغاية لدي الحداثيين يجــدها صورة من ذات الغاية التي يعلن عنها المستشرقون حيناً بعد حين.

ومن الشواهد عليه ما ذكره وليم جيفور بالكراف بقوله: "متى توارى القرآن، ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج فــي طريــق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه"[٣].

---

(١) الأناجيل القانونية الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس المسيحية المشهورة، وأعني بها: إنجيل متى وعدد اصحاحاته٢٨، وإنجيل مرقص وعدد اصــحاحاته١٦، وإنجيــل لوقــا وعدد اصحاحاته٢٤، وإنجيل يوحنا وعدد اصحاحاته٢١، ثم أعمال الرسل وعددها ٢٨، ورسائل بولس وعددها ٩، وغيرهما مما حملته صفحات العهد الجديــد. راجــع العهــد الجديد أسماء وأسفار وإصحاحات، ص٢، دار الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقــدس سابقا، دار حلمي للطباعة.

(٢) د. جورج فورد، سيرة المسيح، ص١٤-١٥، ترجمة أباء الكنيســة ط كنيســة قصــر الدوبارة ١٩٨١م

(٣) أ. محمد جمعة عبد الله، رد افتراءات المستشرقين على آيات القرآن الكريم، ص٢٧٨.

أجل إن الحداثيين يرددون الأفكار الشيطانية التي يتناولها المستشرقون حتى صاروا رجع صدى لما ذكره الآخرون، ومن دلائل ذلك ما زعمه بلاشير أن "الوحي المنزل في مكة لم يكتب، بل كان يخزن في الذاكرة، وأن فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة علي مواد خشنة من الجلود واللخاف لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد (ﷺ) في المدينة المنورة"[(١)].

وإذا كان بلاشير قد زعم هذا، وأراد الطعن في كتابة القرآن وتدوينه، واعتبر أن الفترة المكية كان الاعتماد فيها علي الذاكرة، فقد غاب عنه أن جبريل الأمين كان يراجع الرسول (ﷺ) في كل ما أنزل عليه، وأن الرسول (ﷺ) كان قيماً بحفظه، وأن الكثيرين من الصحابة قد أخذوا عنه، وكتبوا إذ أن فكرة تأجيل الكتابة إلي ما بعد الهجرة لم يقم دليل عليها، بل الثابت أن الرسول (ﷺ) كان يأمر أصحابه بكتابة القرآن الكريم، وينهاهم عن كتابة غيره، حتى لا يختلط أمر القرآن مع الحديث[(٢)].

ثم إن الحداثيين في الغرب والشرق علي السواء قد وقفوا فيما ذهب إليه المستشرقون، واعتبروا ما أتوا به حججا يقينية، بينما هي وسائل تدميرية قصد بها القضاء علي الإسلام، من خلال أبنائه في بلاد العرب والمسلمين علي السواء.

يذكر محمد الصغير "أن (ببير المحترم) أفني عمراً في دراسة العلوم العربية والإسلامية لإنتاج الأفكار، وتجيش الحملات، وإحكام الخطط التي من شأنها

(١) اسماعيل عبد العال، المستشرقون والقرآن، ص٢٤ مجلة دعوة الحق، العدد ١٢٠، ١٩٩١م.

(٢) راجع في هذا الشأن للشيخ: محمود حسن العطار، القرآن وقداسته، ص٤٥، دار السعادة ١٣٣٥هـ.

هدم الإسلام والقضاء علي مصادر قوته"[1]، ومن ثم فإن دور الأحكام السبقية العدائية للإسلام لها دور كبير فيما يذهب إليه الحداثيون ومن على شاكلتهم.

وإذا كان هؤلاء المستشرقون قد عملوا علي إفناء الإسلام والمسلمين، واتخذوا لذلك مناهج متعددة، ووسائل متنوعة، فهل يكون من الصعب عليهم الدس، ووضع الأفكار البعيدة عن الأمانة العلمية، ونسبة ذلك إلي القرآن الكريم، أو وصفهم إياه به، أليس من الصواب القول بأن حداثي العرب قد تشبعوا بتلك الأفكار الشيطانية، ونقلها واعتبارها صحيحة يجب الأخذ بها، والنظر فيما يأتي علي أنه حقائق يقينية مهما كان أمرها في الطعن علي الإسلام والمسلمين[2].

بل إن ما كتبه هؤلاء التراجمة قد كشف زيفه د. عبد الرحمن بدوي وذكر: "أنها أقرب إلي التلخيص، وأبعد عن الترجمة، فهي لا تلتزم النص الحرفي، ولا تنضبط لترتب الجمل في الأصل العربي، وإنما تؤول المعني العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تعبر عنه بترتيب من عند المترجم نفسه"[3].

ثم إن هذه الترجمة التي قصد بها محاربة الإسلام علق عليها المستشرق أريري بقوله: "بالرغم من امتلاء هذه الترجمة بالأكاذيب وسوء الفهم، فإنها

---

(١) د. محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص١١٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) يذكر د. محمود فوزي أنه عام ١١٤١م اجتمع رجال الدين المسيحي بإيعاز من بيير المحترم رئيس دير كلوني العام لترجمة القرآن إلي اللاتينية بقصد محاربة الإسلام وامتلأت تلك الترجمة بالأكاذيب والدس وسوء الفهم وضعف اللغة واستبدال كلمات القرآن الكريم بأخري غيرها غايتهم من ذلك الطعن في الإسلام، والقضاء علي المسلمين د. محمود السيد فوزي، الفكر الحداثي في الميزان ص٤١ ط بيروت ١٩٩٨م، وراجع د. محمد حسين الصغير المستشرقون والدراسات القرآنية، ص١١٢.

(٣) د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص٣٠٧.

كانت الأساس الذي قامت عليه الترجمات الأوروبية المبكرة في الأسلوب الــذي استخدمته"[١]، وإذا كان الهدف مما ذكر هو القضاء علي الإسلام، فهل يســتبعد منهم ألا يقولوا في القرآن الصدق، وإنما ينسبون كتابتــه وتدوينــه إلــي غيــر الأصل الذي قامت عليه.

لقد أنبأت الأيام الأوائل للدعوة الإسلامية أن القرآن الكريم كان يحفــظ فــي الصدور ويكتب في السطور بأيدي الصحابة المجيدين للكتابة علي عين رســول الله (ﷺ) ورعايته، وكانت تلك المكتوبات تتناقل بين أيــديهم فــي صــحف أو صحائف، وليس أدل علي ذلك مما ذكرته كتب السيرة في حديثها عــن إســلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما سمع عن إسلام أخته فاطمة بنت الخطاب.

أجل لقد ذهب إليها فلما فتحت له الباب وجد صحيفة بين يديها، فلما حــاول أخذها منها لم تمكنه؛ لأنه لم يكن أسلم بعد، فلما استعمل العنف معها لم تمكنــه من الصحيفة حتى يتوضأ ويطهر نفسه، ولما فعل وقرأ ما في الصحيفة بكــي، وأسلم بعدها، أفلا يدل ذلك علي أن القرآن الكريم كتبت آياته من أوائــل العهــد المكي، وكانت الصحائف القرآنية يتم تداولها بين المسلمين[٢].

بل إن الإعجاز القرآني في ألفاظه ومعانيه ومفرداته قــد ألجــم الآخــرين، وألزمهم الإقرار بأنه كتاب معجز، وأن كل ما فيه يسمو علي جميــع الأحكــام البشرية، ويعلو فوق الموازين الإنسانية، وأن شئت دليلاً فها هو علــى قاعــدة، والفضل ما شهدت به الأعداء، فيذكر بلاشير أن: "القرآن معجزة وتحفة أدبيــة

---

(١) مجلة كلية أصول الدين، ص٤٦، العدد الرابع، ١٤٠٣هـ المملكة العربية السعودية.

(٢) الشيخ: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف في شــرح السيرة النبوية لابن هشام" ج٢، ص٢٩٥ باب [اسلام عمر بن الخطاب] المحقق: عمــر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

رائعة تسمو علي جميع ما أنتجته الإنسانية"[١]، وتلك الشهادة منه للقرآن الكـريم إعجازه وعظمته مما يقضى على توهمات المتوهمين، وتخرصات المتخرصين.
وفي ذات الوقت الذي يعلن فيه عن كون القرآن الكريم معجزة وأنه تحفة أدبية رائعة، فإنه بذلك يكون واقعاً بين أمرين، إما أنه يجهل ما ذكره بالنسبة للقـرآن سلفاً، وإما أنه عاجز عن التعبير الجيد، ومن الشواهد عليه ما ذكره بقولـه: "إن المصحف[٢]، في حالته القانونية[٣]، الحاضرة لا يسمح مطلقاً بمتابعـة رسـالة محمد في توسعها، فإنه لجديد إذن أن نعثر علي الركيزة التاريخية[٤]، ثم ينتهـي

(١) نقلاً عن أنس الصنهاجي، القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية الفرنسـية، بلاشـير أنموذجاً، ص ٤٦.

(٢) هذا التعبير الذي قصد به التفريق بين القرآن الشفوي، والقرآن المكتوب هو ذاته الـذي نطق به أركون، وأوهم أن ذلك من انتاجه، بينما هو لقيط أخذه عن بلاشير، ولم ينسـبه إليه، وإذا قارنا بين عبارة أركون، وما ذكره بلاشير تبين أن المنبع واحـد، فهـا هـو أركون يذكر أن القرآن ما يدل علي التلاوة، وليس المدون، أما المصحف فهو ما يـدل علي النص المدون، وتلك عبارته: "قلت المصحف ولم أقل القرآن؛ لأنه يدل علي الشيء المادي الذي نمسكه بأيدينا يومياً؛ ولأنه يقابل التوراة والإنجيل بالضبط فهو كتاب مؤلف من صفحات سُجل فيه الخطاب القرآني بـالخط المعـروف". محمـد أركـون، الفكـر الإسلامي نقد واجتهاد، ص٨١.

(٣) استعمال لفظ القانونية هو اقتباس من التراث المسيحي دال علي أن بلاشير لم يتذكر أبداً أنه يتحدث عن كتاب سماوي وارد علي قلب النبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ)؛ لأن كلمـة قانونية اصطلاح في التراث المسيحي يميزون به بين الأناجيل التي اعتبرتهـا المجـامع المسكونية قانونية، والأخرى التي لم تنل هذا الاعتبار.

(٤) فكرة الركيزة التاريخية هي التي توسع فيها الحداثيون، وملاؤا الـدنيا ضـجيجاً بهـا، وأطلقوا عليها اسم التاريخية القرآنية، وغايتهم من ذلك متابعة المستشرقين، حتى يكونوا ألسنة لهم في الدول الإسلامية من جهة، ويفصلوا بين القرآن الكريم وطرائق الاسـتفادة به، بل اعتباره تراثاً أدي دوره في مرحلة من المراحل، ثم انتهي دوره، ولن يكون لهم ذلك إن شاء الله. راجع لأركون، تاريخية النص القرآني، حيث قاتل بشأنها، ودون كتاباً بعنوان تاريخية الفكر الإسلامي.

إلي القول بأن القرآن تبليغ منزل كتاب وشريعة، لكنه أيضاً بصورة أخص مجموعة من النصوص التي تحمل التعبير والتعليم(١)، وإذا ربطنا هذه بالظروف التي أملتها، فإن مدلول الرسالة يتضح وتتحدد خطوط القوة فيها، إذ هي رسالة جهاد وتحريم أكثر من أي رسالة أخري(٢).

الواضح أنه توجد هنا إشكاليات ثلاثة وقع فيها الحداثيون وأراد الله كشف أسرارهم وفضح نواياهم:

الأولى: إشكالية أن القرآن الكريم قد أنزل له، وكتب كله في عهد النبي (ﷺ) وجمع وهو الذي نعتقده.

الثانية: إشكالية أن القرآن المكي أو الذي نزل في مرحلة الدعوة بمكة وإنما حفظ شفهيا والذي كتب هو المدني وبالتالي فهو بابهم في الطعن على القرآن الكريم.

الثالثة: شبهة الزمن الذي أنزل فيه القرآن الكريم وكتب ودون وهي كسابقتيها مما يرده المستشرقون ويعلنه الحداثيون على السواء من غير تفكير أو تدبر.

وحيث ثبت أن الأحكام السبقية فيها بعد عن الواقع فقد بان أن كتابة القرآن الكريم، وتدوينه، وجمعه، قد تم ذلك كله علي ناحية صحيحة، وأن المراجعات التي تمت أبانت كلها عن هذه الوجوه علي نحو واسع، ومؤكد أيضاً.

---

(١) غايتهم من ذلك إثبات أن دور القرآن الكريم قد انتهي، وأن المصحف المعبر عنه قد انتهي دوره أيضاً بناءً علي ما ذهب إليه بلاشير، وما ردده الحداثيون بعده بغرض القطيعة بين أجزاء القرآن الكريم المصحف من جهة، ومحاولة إثبات وجود تشابه بين الإسلام (القرآن) واليهودية (التوراة) والمسيحية (الأناجيل) من جهة آخري.

(٢) بلاشير، القرآن نزوله ص٤٢.

(٣) الخلط بين الحقائق التاريخية:

الحداثيون يعلنون في غير حياء أن كتابة القرآن الكريم، وتدوينه لم يتم ذلــك علي عهد الرسول (ﷺ)، وإنما تم في مدة "عشرين عاماً في عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي قام علي جمع نص جديد أقيم علي أساس أوسع"[١]، فإذا قارنا بين ما ذكره بلاشير سلفاً من أن القرآن في المرحلة المكية لم يكتــب، وإنمــا كــان محتفظاً به في الذاكرة، وبين ما ذكر هنا من أن مدة نزول القــرآن اســتغرقت عشرين عاماً، وما ذكر من أنها استغرقت ثلاث وعشرين سنة، وردده من بعده الحداثيون ظهر تكذيب التاريخ لهم، فالثابت بيقين أن نزول القرآن الكريم انتهي قبل انتقال الرسول (ﷺ) إلي الرفيق الأعلى في١٣ربيع الأول عــام١١هجريــة، الموافق الثامن من حُزيران ٦٣٢م[٢].

و ما بين تلك المدة شاهد لنفسه بأن القرآن الكريم انتهي نزولــه قبــل وفــاة الرسول (ﷺ) بزمن يسير، وجاء ذلك في صيغة محددة هي قوله تعالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٣].

البين أن الحداثيين في الغرب، والعرب تسقط منهم الأزمنة التاريخية بقصــد أو بغير قصد، وذلك ظاهر فيما يدعون أو يزعمون، والذي عليه الصواب أنهــم يعيشون علي شبهات المستشرقين يلوكونها ويتكئون عليهــا ويســايرونهم فــي أخطائهم دون أن يفكروا، وليس أدل علي ذلك من النقول المتشابهة إلــي حــد المماثلة، بل نقول أنها هي هي، لكنها في الأخيرة صــيغت بأيــدي المتســمين بأسماء إسلامية.

---

(١) بلاشير، القرآن نزوله، ص٣١.

(٢) هذا ما سجله بلاشير نفسه راجع القرآن ونزوله، ص٢٤ .

(٣) سورة المائدة الآية (٣).

فإذا كان مستشرقو الغرب ذهبوا إلي أن البلاغ القرآني الذي تم في مكة لم يتم توثيقه، ولم ينقل إلي المصحف[1]، وجاء بعدهم حداثيو العرب، فذكروا أن كتابة القرآن وتدوينه تم في غضون خلافة عثمان، واستقرت صيغته النهائية في القرن الرابع الهجري[2]، فأي بتر تاريخي، أو أي جهل تاريخي ذلك الذي حكمهم.

والحق أن موقف الحداثيين من كتابة القرآن الكريم وتدوينه ترديد لمواقف استشراقيه ردت عليهم أوهامهم، فلم يتمكنوا من مراجعتها، وأقاموها على زعم وجود اختلاف بين القرآن الشفوي، والمصحف المدون، وهي أوهام عاشت في نفوسهم لم يقم دليل صحيح عليها، إنهم أسسوا لفكرة الظاهر والباطن في القرآن، وهي لا وجود لها في الواقع.

من البين أن الزعم بوجود ظاهر وباطن للقرآن الكريم فكرة قديمة تلقفها المستشرقون، وأخذوا يزيدون عليها، يريدون النيل من القرآن والإسلام، يقول العلامة الشاطبي (ت٧٩٠هـ): "من الناس من زعم أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وربما نقلوا في ذلك بعض الأحاديث والأثار، فعن الحسن مرسلاً فعن عن النبي (ﷺ) أنه قال: "ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن بمعنى ظاهر وباطن

---

(١) هذا الموقف الاسقاطي من المستشرقين لا عذر لهم فيه، إنهم انطلقوا من مسلمة تاريخية لديهم كاذبة قائمة علي أن كافة النصوص المقدسة، إنما هي خطاب شفهي جمع بعد نزوله بمدة ولا يشذ القرآن عن هذا. راجع د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر، ص٢٢٥.

(٢) راجع محمد أركون، نافذة علي الإسلام، ص٦٥.

وكل حرف حد، وكل حد مطلع"[1]. وفسر ذلك بأن الظهر والظاهر هو ظاهر التلاوة، والباطن هو الفهم عن الله تعالي لمراده"[2].

وروى ابن حبان عن ابن مسعود رضي عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "أنزل القرآن على سبع أحرف لكل آية منها ظهر وبطن[3]، وروى الطبراني وأبو يعلى والطحاوي ذات الحديث من طريق عبد الله ابن مسعود مرفوعا[4] وقال الطحاوي (رحمه الله) الظهر منها هو ما يظهر من معناها، والبطن منها هو ما يبطن من معناها[5]، وقال الطبري (رحمه الله) الظهر هو الظاهر في التلاوة، والبطن هو ما يبطن من تأويله[6]

---

(١) أخرج ابن عبد البر عن" عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد ومطلع" التمهيد ج٨، حديث رقم ٢٨٢، وحكم على الحديث بالصحة، وشرحه شرحا مطولا. وأخرجه الهيثمي عن عبد الله بن مسعود في روايتين وحكم على رجال إحداهما بالثقات .الإمام الهيثمي مجمع الزوائد، ج٧، حديث رقم ١٥٥.

(٢) العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي "الموافقات في أصول الشريعة" مجلد ٢، ج٣، ص٢٨٦، شرح وتخريج الشيخ: عبد الله دراز وضع تراجمه أ/ محمد عبد الله دراز خرج الفهرس عبد السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب العلم ذكر العلة التي من أجلها قال النبي (ﷺ) وما جهلتم منه فردوه الي عالمه، وقال الشيخ: شعيب الأرناؤوط في تعليقه علي صحيح ابن حبان اسناده حسن.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٠١٠٧) وأبو يعلى في المسند ٥١٤٩ والطحاوي في شرح المشكل (٣٠٩٥).

(٥) الإمام الطحاوي، شرح مشكل الأثار، ج٨، ص٨٨.

(٦) الإمام الطبري، تفسير الطبري، ج١، ص٧٢ وعلق الشيخ: محمود شاكر قائلا الظاهر هو ما تعرفه العرب من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته، من حلال وحرام، والباطن هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، وفي المسألة أقوال كثر تؤدى إلى ذات المعنى وطرق الحديث متنوعة.

وبناءً عليه فإن فكرة القرآن الشفوي والقرآن المدون –المصحف–إنما هي فكرة قديمة قال بها أعداء الإسلام، وتمسك بها أصحاب الفكر الباطني، وحاولوا أن يناولوا من الإسلام والقرآن الكريم منالا لكن الله تعالي رد عليهم بآيات منها قوله تعالي: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(١). قال الشيخ الشاطبي: "لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، ولم يحظوا بفهم مراد الله من الكلام"(٢).

كما أنه تعالي نعي علي هؤلاء أن قلوبهم غير خالصة للتلقي عن الله، فقال جل شأنه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٣)، ومن ثم فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلي المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن الكريم، فلم يحصل منهم تدبر له، وينتهي الشيخ الشاطبي إلي القول بأن "المراد بالظاهر هو المفهوم العربي، والباطن هو مراد الله تعالي من كلام الله تعالي وخطابه"(٤).

من ثم فقد بان أن المستشرقين والحداثيين المقلدين لهم، ليس لهم من هم سوي العبث في الدين الإسلامي متخذين وسائل عدة ظنوا أنهم بها يبلغون غايتهم، وليس الأمر كذلك، فالله غالب علي أمره، ولن يتمكن أحد مهما كان شأنه أن ينال منه.

ولا يخفي أن فكرة فصل القرآن عن المصحف قد أخذها الحداثيون من المستشرقين الذين نقلوها عن أعداء الإسلام، وقد رد عليها أهل الإسلام ردوداً

---

(١) سورة النساء الآية (٧٨).

(٢) الشيخ: الشاطبي "الموافقات في أصول الشريعة" **ص٢٨٦.**

(٣) سورة محمد الآية (٢٤).

(٤) الشيخ: الشاطبي "الموافقات في أصول الشريعة" ص٢٨٧.

اجتثتها من جذورها كشجرة خبيثة، فما بال الحداثيين يحاولون إحياءها وإعادتها.

ثانيا: شبهتهم حول قدسية القرآن الكريم:

ومعناه أن الحداثيين ينفرون من اعتقاد قدسية القرآن الكريم، ويعلنون رفضهم لها مع أن القرآن الكريم مقدساً من جميع الوجوه، وهو مقدس أيضا من ناحية أن من أنزل فيهم أعلنوا عجزهم عن مجاراته، يقول الملاحمي (ت٥٣٦هـ): "معلوم أن العرب في زمانه (عليه السلام) وبعده كانوا يتبارزون في الفصاحة، ويفخرون بها، وكانت لهم مجامع يعرضون فيها أشعارهم، وكان لهم نقاد وحضر في زمانه من كان يعد في الطبقة الأولي من الشعراء كالأعشى، ولبيد، وطرفة، وزمانه كان أوسط الأزمنة في استعمال المستأنس دون الغريب الوحشي الثقيل علي اللسان، فصح أنهم كانوا النهاية في الفصاحة"[١]، وبناءً عليه جاءت قداسة القرآن من هذا الجانب أيضاً.

ثم إن الحداثيين لما ألقوا أنفسهم بين أفكار المستشرقين الكارهين للإسلام الصادين عن سبيل الله فقد أخذوا أقوال المستشرقين ورددوها بغرض النيل من معجزة القرآن الكريم، وجاء حديثهم تلك المرة عن قدسية القرآن الكريم، هل هو مقدس أم غير مقدس؟ هل هو وارد عن الله أم من تأليف رسول الله (ﷺ)؟

فالقرآن عندهم ظاهرة من الظواهر ليست فوق النقد، وليس له قداسة، ولا احترام؛ لأنه في نظرهم غير معصوم من حيث إنهم يشككون في كتابة القرآن

(١) الشيخ: محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي، كتاب الفائق في أصول الدين، ص٣٩٠، تحقيق د. فيصل بدير عون، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

وقراءته ورسمه، ويعتبرون ذلك أسطورة يجب مراجعتها، ولا يصلح أن يكـــون مصدراً للتشريع[(١)]، مع أنه كتاب الله تعالي.

وحيث أن هذا الموقف منهم غير مقبول بالنسبة للإسلام وكتابه الخالد وينـــال من عقيدتنا نحن المسلمين، فإني أتناول ذات الموقف بالعرض، ثم أتبعه المناقشة طبقاً للمنهج الذي سرت عليه.

(أ) العرض:

يذهب الحداثيون إلي أن القرآن مثل الأناجيل "مجازات عاليـــة لا يمكـــن أن تتحول إلي قوانين واضحة فعالة، أو مبادئ قابلة للتطبيق"[(٢)] وهذه المثلية تنفـــي عنه القداسة.

كما يعتقدون أن القرآن من حيث أنه قرآن نقل عن طريق (ســيدنا محمـــد) وتمت كتابته عن طريق من تسموا بكتاب الوحي، فمن المؤكـــد ورود الخطـــأ المتنوع في عملية النقل أو علي الأقل وقوع الخطأ في المكتوب الذي هو بـــين أيدي الناس، ويعلق منقذ السقار علي هذا مؤكـــداً جـــانبين الأول: زعمهـــم أن القرآن ليس وحي الله، وإذا كان وحيا من الله فإنه لا يكون كتابا يشارك فيها من شارك، ثم يرد بقوله: "إن هذه دعوى تحتاج إلي دليل"، ثـــم يؤكـــد أن القـــرآن الكريم لو لم يكن مقدساً لما تحدى العالمين أن يأتوا بمثله"[(٣)].

---

(١) د. حمدي عبيد، الحداثة، ص٥، نشر سلسلة الراصد الإلكترونية العـــدد (٧٢) جمـــادي الآخرة ١٤٣٠هـــ بتاريخ ٢٦ مايو ٢٠٠٩م.

(٢) محمد أركون، القرآن ص١٢١، وهو بهذا يعلن رفضه للقرآن الكريم مع ادعائـــه بأنـــه يلتزم أو علي الأقل يزعم ذلك.

(٣) منقذ السقار، تنزيه القرآن عن دعاوي المبطلين ص٣٩ من الجديد القول بـــأن عـــرض الفرية وأبطلها ونعم ما فعل.

ولأن الحداثيين سعيهم الدؤوب لرفع القداسة عن القرآن فقد هالهم ما يتعلق بوضوحه، وإعجازه فلجأوا إلي اختراع أكذوبات عاشوا عليها، ورددوها بين أنفسهم، ومنها أن القرآن مستغلق وغير مفهوم، ولو كان مقدساً لما وقع فيه استغلاق الفهم، وغموض اللغة.

يقول أركون: "إن القرآن يظل مستغلقاً، وغير مفهوم لدي المؤرخين أو المثقفين الأكثر تخصصاً وتبحراً في العلم[١]، فما بالك بجمهور المؤمنين"[٢]، والجواب ما فات أركون نفسه من أن القرآن الكريم لغة عربية مبينة فصيحة معطاءة يدركها الأعجمي والعربي على قدر سواء أنها موسيقى تلمس شغاف القلوب فتتملكها.

أجل إن الحداثيين بزعمهم غموض النص القرآني يسعون إلي نزع القداسة عنه، وهذا أمر محير جداً، أما لماذا؟ فلأن أهل العلم علي يقين من وضوح القرآن الكريم في مفرداته وجمله، وما يتعلق به، وذلك لمن صفى قلبه وعقله لله رب العالمين، بدليل أن الأعرابي عندما سمع قول الله تعالي: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[٣]، صاح قائلا يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه، قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه[٤].

---

(١) غاب عن أركون أن من إعجاز القرآن الكريم أن تظل لغته ومعانيه متداولة بين جميع الأجناس البشرية، ولو كانت ألفاظه كلها مفهومة علي مستوي واحد لأمكنه الإتيان بمثله، وبالتالي فالاستغلاق ليس هو الاستعجام، بل هو الفهم لدي المتخصصين من حيث إنه المعني بدراسة وجوه إعجاز القرآن.

(٢) محمد أركون، قضايا نقد العقل الديني، ص٥٩.

(٣) سورة الذاريات الآية (٢٢).

(٤) الشيخ: أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٣، ص٣٧٥، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

بل إن الحداثيين الغربيين، ومنهم بلاشير يعلنون ضرورة نزع القداسة عن القرآن، ويتمسكون بفرية كذوب هي وجود نصوص شائكة في القرآن، يقول بلاشير عن النص القرآني: "أمام هذا النص الشائك بصعابه، الكثير الغموض، المدهش بأسلوبه الإيجازي الذي يغلب عليه التلميح نتوقف ملتمسين الفكرة الرئيسية التي تصل فيما بينها بمنطق كامل قصص وشروح يصعب الكشف عن ترابطها"[1].

من البين أن جهود هؤلاء لنزع القداسة عن القرآن الكريم لم تتوقف أما لماذا؟ فلأن شياطينهم قد أوحت إليهم بما أوحت لسابقيهم، وجاء ذكرهم في آيات منها قوله تعالي:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[2].

وسيظل القرآن الكريم عاملاً معجزاً كاشفاً عما تخبئه نفوسهم من عداوة للإسلام، وكره له، علي كل فإن سعيهم لنزع القداسة عن القرآن الكريم لم يرد من هذا الجانب فقط، وإنما زعموا أن في القرآن استعجاماً لغوياً يؤدي إلي القول بأنه ليس مقدساً، فإذا سألت عن معني الاستعجام الذي يقولون به، والسبب الذي وجد له، تراهم يعرفون الاستعجام بأنه وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم من ناحية الجذر اللغوي، ومن ناحية القراءة، وتناسوا الجذر الصرفي ودلالاته، يدل عليه ما زعمه أركون نفسه، حيث ذكر "أن المعجم القرآني واللغوي متى تم البحث فيهما عن جذر المادة قرأ التي منها القرآن تبين أنها لا تدل إلا علي معني التلاوة، والقرآن يجب أن يرتبط بالنص الشفهي لا بالنص المدون"[3].

---

(١) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر، ص٢٢٠، وقد عزاه إلي كتاب القرآن الكريم والقراءة الحداثية للباحث المقتدر الحسن العباقي ص٥٥.

(٢) سورة فصلت الآية (٢٦).

(٣) محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص٧٧.

ومن البين أن أركون هنا يفصل بين القرآن باعتباره نصاً شفهياً، وبين القرآن باعتباره النص المدون، وقد بان فساد هذا الفصل فيما سبق، بل هؤلاء في سعيهم لرفع القداسة عن القرآن الكريم حاولوا التأكيد علي أن النص المدون الذي يقرؤه المسلمون جميعاً ويتمسكون به، قد كتبه أشخاص فيهم رغبات، وتدخلوا في كتابته من خلال الثقافة التي لهم، وقد كسبوها من غيرهم[١].

بل إنهم في هذا السعي يؤكدون علي خرافة تمت بعملية إسقاط غير مقبولة إذ يعتقدون أن كافة المفاهيم، والمعارف مهما كانت مقدسة فإنها تتحور أثناء الانتقال من مرحلة إلي أخري ويطبقون ذلك علي القرآن الكريم من الناحية الإسقاطية دون رعاية لما في النص المقدس من إعجاز يصعب تقليده، كما يصعب ضياعه أو تحوره تطبيقاً للقاعدة الإلهية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٢].

يزعم أركون القول: "بأن هناك أشياء تضيع أو تتحور أثناء الانتقال من المرحلة الشفاهية إلي المرحلة الكتابية"[٣]، ومن البين أنها أوهام نقلها سابقوهم في أزمان مضت، وهم لا يملكون سوي إعادة ترديدها وتكرارها، وقد فشلوا في استحداث شبه جديدة تحمل أسماءهم، وتبين عن مجهوداتهم، والله غالب علي أمره، وسوف ينقض أمرهم.

(ب) المناقشة:

نحن المسلمين نعتقد أن القرآن الكريم مقدس كله، ولكن ما ذهب إليه هؤلاء ينم عن فساده من وجوه عدة:

---

(١) هذه المسألة يرددها الكثيرون، بل كل الحداثيين علي هذا النحو سواء، إنهم لا غاية لهم سوي النيل من هيبة القرآن الكريم وقداسته.

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأجيل، ص٥٣.

الوجه الأول: إحياء شبه قديمة سبق بيان فسادها:

زعمهم أن القرآن الكريم مغير مبدل، ويذكر الشيخ الملاحمي (ت٥٣٦هـ) أن: "هذا طعن في كون القرآن معجز من وجهين أحدهما: أنه غير الذي تحدي به (ﷺ) العرب، والثاني أنه لو كان معجزاً دالاً علي نبوة النبي (ﷺ) لعصمته تعالي عن التغيير، وطعن في نبوته (ﷺ)، إذ هذا أظهر معجزاته وطعناً في شريعته، إذا الأصل في إثبات الشرائع ما يتضمنه القرآن الكريم من الأحكام"(١).

ومن ثم فإن تصوير الحداثيين تلك الشبهة التي أثيرت في القرن السادس الهجري، ورد عليها علماء المسلمين، ثم يتم إحياؤها في القرن الخامس عشر، وبينهما تسعة قرون تقريبا لدليل علي أن الحداثيين يغفلون حركة الزمن، وطبيعة الحياة ويكشفون عن زيف وقعوا فيه لا محالة(٢).

وأستعير ما ذكره الخوارزمي الملاحمى في مقابلة ذلك الزعم المرفوض، وانتزع تقسيماته المبينة عن فكر راق في مواجهة المتشككين الذين لا هم لهم سوي الطعن في الإسلام ديناً وكتاباً ورسولاً وأمة.

يقول الملاحمي: "يقال لهؤلاء أتزعمون أن جميع القرآن مغير مبدل، أم بعضه دون بعض"(٣)، وهذه القسمة حاصرة دالة في نفس الوقت علي إيقاف هؤلاء إلى طريقين يفضي كل منهما لبيان فساد ما ذهب إليه الحداثيون وسلفهم.

---

(١) الشيخ: محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي، كتاب الفائق في أصول الدين ص٣٩٦.

(٢) في تقديري أن الحداثيين قد أخفقوا في الوصول إلي ما يمكن اعتباره جديدا فيما يتعلق بموقفهم من القرآن الكريم علي وجه العموم، وهذا في حد ذاته كاشف عن إفلاس فكري، وخمول معرفي وتكذيب بأحكام التاريخ، وإعلان عن ارتضاعهم الألبان الوثنية وتغذيتهم بها، وقد تناسوا التوجيه النبوي الشريف: " أيما لحم نبت من حرام، فالنار أولى به " الإمام أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، ج٧، ص٥٠٥، حققه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٣) الخوارزمي، كتاب الفائق، ص٣٩٦.

ثم يؤكد علي مقولتهم ويبين فسادها إذ قالوا: كل القرآن مبدل مغيـر، فيكـون الرد عليهم جواز أن تكون الفاتحة مغيرة، وهو إلزام عقلي لا يستطيعون الفكاك منه[١]، ومتى جوزوا هذا قيل لهم كيف يجوز أن تغير مع أنهم كانوا يسـمعونها منه (ﷺ) كل يوم وليلة في صلوات الجهر ست مرات[٢].

ويعلمها كل من دخل في الإسلام، و يقرؤها كل مصل في الصلاة الواجبـة، فكيف يجوز مع كثرة المعلمين والقراءين لها أن لا ينكروا تغيرهـا، ويقبلونهـا مغيرة مبدلة بعدما شاعت فيهم علي غير النظم الذي حفظوه"[٣].

وبهذا ظهر أن الحداثيين يرددون شبهة سبق ذكرها وتم اجتثاثهـا، فبـان أن القرآن الكريم مقدس، وأن قداسته لا ينازع فيها صاحب عقل سليم أبداً.

الوجه الثاني: وضوح القرآن لا غموضه:

من البين أن القائل بغموض القرآن الكريم والذي أخذ منـه الحـداثيون هـو بلاشير، ولم يكن الرجل مسلماً، ولا عربيا، فكيف يحكم علي القـرآن العربـي بالغموض، ويعتبره نصاً شائكاً، ثم يأتي أركون ومن معه زاعمين أنه مسـتغلق علي الأفهام، أليس من المنطق القول بأن بلاشير كاذب في دعواه، وأن من بعده مكابرون يجهلون ما سوف يلقاهم يوم يعرضون علي الله، أمـا لمـاذا؟ فـلأن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد، فهو ليس كتاباً يعني بما يريده الأخر، إنمـا

---

(١) الإلزام العقلي هنا قائم علي المعني، لان صيغته خلت من كلمة لزم أو يلـزم، والإلـزام العقلي باب واسع يمكن البحث فيه من جوانب شتي، وبخاصة أن أقسام الإلزام متعـددة: منها الإلزام القانوني، والإلزام الشرعي، والإلزام الخلقي، والإلزام العـادي، والإلـزام العقلي، إلي غير ذلك من الأقسام والأنواع.

(٢) صلاة الجهر التي تتلي فيها الفاتحة بصوت مسموع من الإمام هي صلاة الفجر ركعتان، وصلاة المغرب ركعتان، وصلاة العشاء الركعة الأولي والثانية.

(٣) الملاحمي، الفائق في أصول الدين، ص٣٩٦.

هو معني بإبلاغ كلمة الحق إلي الخلق، إنه كتاب هداية فيه العقيدة، والشـريعة والتكاليف، والقيم الأخلاقية[١].

ومن مظاهر وضوح القرآن الكريم سرعة حفظ الصحابة له، بعد تلقيهم إياه عن رسول الله (ﷺ)، ضبطا وصدرا، يدل عليه ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال "أخذت من في رسول الله (ﷺ) سبعين سورة"[٢]، وهو أكثر من نصف سور القرآن الكريم.

من المؤكد أن القرآن الكريم "كتاب هداية يتوخى الوعظ والإرشاد، كما يدعو إلي الفضيلة ويحذر من الرزيلة، ويتناول عالم الغيب، كما يتناول عالم الشهادة"[٣]، وبناءً عليه فليس في القرآن الكريم عبارة غامضة، ولا مستعجمة، وإنما مفرداته وآياته فيها الإعجاز كله كيف لا، وهو كلام الله الخالد.

ثم إن القرآن الكريم نزل في بيئة عربية خالصة، "وبين أقوام مشهود لهم بالفصاحة وصفاء السليقة، لم يُغمز بالغموض من عتاة الكافرين"[٤]، وما زال يتلي فيفقهه العامي، والمثقف، والعالم، لا لشيء إلا لأنه كتاب ميسر للذكر منزل للهداية[٥].

---

(١) راجع للشيخ: محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص٧، حيث يقول "تلقى سيدنا محمد (ﷺ) عن ربه القرآن الكريم فبلغه كما تلقاه وبين بأمر الله وإرشاده مجمله وطبق بالعمل نصوصه ثم تلقاه عنه الناس جيل بعد جيل كما تلقاه عن ربه حتى وصل إلينا كما نزل متوترا لاريب فيه" ط١٦، دار الشروق ١٤١٤هـ-١٩٨٥م.

(٢) أخرجه الشيخان البخاري، ومسلم، حديث رقم ٢٤٦٢.

(٣) الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءة الحداثية، ص٥٥.

(٤) الراصد لسجلات التاريخ يجد أن العرب حينما نزل فيهم القرآن الكريم شهد الكفار العتاة بما له من جمال وهيبة، لا يمكن مجاراته فيها، ومن أقوالهم بهذا الشأن ما ذكره الوليد بن المغيرة: (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر) الشيخ: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج٦، ص٤٣١.

(٥) د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر، ص٢٢١-٢٢٢.

ولا يخفي أن القائلين بغموض القرآن الكريم، واستغلاقه هم الذين اســتغلقوا بعقولهم عن قبول الحق، وتنازلوا بإرادتهم عن مناحي الضوء الــذي يمكــن أن يفيدوا به علي ناحية من النواحي.

لقد أقر الفيلسوف الفرنسي هنري سيرويا في كتابه فلسفة الفكر الإسلامي بأن "القرآن من الله بأسلوب سام ورفيع لا يدانيه أسلوب البشر"(١)، وإذا كان القــرآن لا يدانيه أسلوب آخر، وقد شهد ذوو العقول السليمة بأن أسلوبه رفيع سام، فهل يكون فيه غموض؟ من المؤكد أن ما قرره هذا الرجل وأمثاله يقضي علي مــا زعمه الحداثيون ومن سبقهم.

بل إن الحداثيين يعترفون بعكس ما أنكروا، فإذا قال بلاشير مثلاً عن القرآن أو وصفه بالغموض والصعوبة بغية إقصائه عن القداسة، تأتى شــهادة القــرآن لنفسه بأنه مقدس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـافِظُونَ﴾(٢)، وقد أنطق الله بلاشير نفسه فكتب عن القرآن أنه معجزة، وأنه يسمو علي جميع مــا سواه، فيقول: " إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعلمه فقط، إنه أيضاً يمكنه أن يكون قبل أي شيء تحفة أدبية رائعة تسمو علي جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف"(٣).

وبناء عليه يكون القول الفصل فيما ذكره بلاشير هو ما نقل أخيــراً، وتلــك شهادة لا يمكن أن تمر دون إلماح إليها، واعتقد أنها ستكون وسيلة إلهاب ظهور هؤلاء الحداثيين الذين يحاولون إبعاد القرآن الكريم عن قداسته، وإبعــاد النبــي المصطفي (ﷺ) عن نبوته، وقد نبه إلي تلك الحيلة الملاحمي، حيث يقول: "مــن

---

(١) منقذ السقار، تنزيه القرآن عن دعاوي المبطلين، ص٥٦.

(٢) سورة الحجر الآية (٩)

(٣) راجع للأستاذ عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص٥٨-٥٩.

قصد تغير القرآن الكريم فقد قصد إبطال إعجازه، وإبطال نبـوة محمـد (ﷺ)، ويلزم عليهم الجهالات التي لا مفر لهم منها[1].

ومن مظاهر وضوح القرآن الكريم سهولة حفظه في الصدور والسطور وقد ثبت أن المئات من الصحابة كانوا من حفظة القرآن الكريم كاملا في عهد النبي محمد (ﷺ) يدل عليه ما أخرجه البخاري رضي الله بسنده "أن قتادة (رضي الله عنه) سـأل أنس بن مالك (رضي الله عنه) عنه من جمع القرآن على عهد النبي (ﷺ) فقال أنس أربعـة كلهم من الأنصار أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"[2].

أجل لقد تسابق المؤمنون، والمؤمنات في حفظ القرآن الكـريم واسـتظهاره على عهد رسول الله (ﷺ) الرجال في جهادهم وسعيهم والنساء في خـدورهن، وممن حفظنه كاملا أم ورقة بنت عبد الله بن الحـارث الأنصـاري، فأمرهـا النبي (ﷺ) أن تؤم دارها وكان لها مؤذن فكانت تؤم أهل دارها[3].

وذكر العلامـة المبـاركفورى قـال: "قـال المـروزي كـان سـعيد بـن المسيب (رحمه الله) يختم القرآن في ليلتين، وكان ثابت البناني يقرأ القرآن في يـوم وليلة، وكان أبو حرة يختم القرآن كل يوم وليلة، وكان عطاء بن الثابـت يخـتم القرآن في كل ليلتين"[4]، ومن ثم فما ذهب إليه الحداثيون وأمثالهم منقوض بمـا سلفت الإشارة إليه.

---

(١) الملاحمي "الفائق في أصول الدين" ص٣٩٧.

(٢) الأمام البخاري، صحيح البخاري، حديث ٥٠٠٣، والإمام مسلم صحيح مسـلم حـديث ٢٤٦٥.

(٣) أخرجه ابو داود في سننه حديث ٥٩١، والإمام أحمد في مسنده حديث ٢٦٧٣٩.

(٤) العلامة المباركفورى، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٢١٩.

الوجه الثالث: شهادة غير المسلمين:

من المؤكد أن القرآن الكريم حينما أنزل كان بين المسلمين الأوائل الفرس والروم، وغيرهم كبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وفيهم العرب الأقحاح، وقد تسلل القرآن إلي قلوب هؤلاء، وعقولهم، فنطقته ألسنتهم، ولم يجدوا فيه صعوبة، بل كانوا يزينون أصواتهم بقراءته.

بل إن هذا الأسلوب القرآني تغلغل إلي أعماق النفوس التي تهيأت لملاقاته، ومنها ما شهد به الأديب الألماني جوته، حيث ذكر أن القرآن محكم سام مثير للدهشة، ثم يقول: "فالقرآن كتاب الكتب، ويعبر عما يشعر به داخل نفسه، ثم يقول: "أنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي"(١).

والسؤال الآن كيف اهتز هذا الأديب الفيلسوف من داخل جسمه، وكيف شعرت روحه بهذا كله، إذا لم يكن أسلوب القرآن الكريم واضحا كل الوضوح، سهلا كل السهولة، جميلا كل الجمال، وهل من المعقول أن يكون أسلوب القرآن غامضا، أو فيه شيء من الغموض، ويسكت عنه العرب حين نزل القرآن، أو يسكت عنه من جاءوا في العصور المختلفة منذ نزوله إلي يومنا هذا، إن الحقيقة الناصعة هي أن القرآن الكريم خال تماماً من الغموض والاستعجام وغيرها.

الوجه الرابع: شهادة القرآن لنفسه:

جاءت آيات القرآن الكريم لتقدم شهادة دامغة، وحجة قائمة لنفسه بأمور متعددة منها الشهادة لقداسة مصدره، قال تعالي: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)،

---

(١) منقذ السقار، تنزيه القرآن عن دعاوي المبطلين، ص ٥٦، وراجع للأستاذ: عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام ص١٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٩٢).

كما شهد لقداسة وسيلة نقله، فقال تعالي: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [1]، وشهد بمكان نزوله للمتلقي، فقال جل شأنه: ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[2]، فجمع بين قلب المتلقي والوظيفة التي يجب القيام بها، وشهد باللغة التي نزل معها، قال تعالي: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [3]، كما شهد بأن هذا مذكور في كتب الأولين قال تعالي: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [4].

ودلل على أنه منزل ومفسر بلغة واحدة، وأهداف متعددة قال تعالي: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[5]

وذكر العلماء المسلمون أن هذا الذي أنزل ليس فيه شيء من استعجام أو استغراب، فيقول أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول"[6].

---

(١) سورة الشعراء، الآية (١٩٣).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٩٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية (١٩٥).

(٤) سورة الشعراء، الآية (١٩٦).

(٥) سورة فصلت، الآية (٤٤).

(٦) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصرى (ت٢٠٩هـ)، مجاز القرآن ص١٧، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨١هـ. وراجع للعلامة أحمد بن فارس بن زكريا الصاحبي، فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص٤٣-٤٥، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

وبناءً عليه تكون شهادة القرآن دالة علي أنه خال من الاستعجام، كما هو خال من النقل عن الغير، وإذا كانت دعاوي الأقدمين قد حكاها القرآن الكريم، وكر عليها من كل ناحية، فلا مانع من القول بأن ما ذكره الحداثيون حول استعجام القرآن الكريم افتراء يؤدي بصاحبه الهلكة، والقاعدة التي نبه إليها الإمام الشافعي من ادعي أن في القرآن الكريم من غير لغة العرب شيئاً فقد أعظم الفرية، والقرآن دال علي أنه ليس من كلام شيء إلا بلسان العرب"[(١)].

<u>الوجه الخامس:</u> شهادة اللغة

زعم الحداثيون أن مادة الكلمة قرأ قد اشتق منها القرآن، وأنها تدل علي معني التلاوة لا معني غيره، والمتصفح للمادة اللغوية حسب ورودها في المصادر العربية، وفي الآيات القرآنية يجد أنها لم تنحصر في معني التلاوة وحده، وإنما تدور في معانٍ منها: القراءة والتتبع بالنظر، والنطق بالألفاظ، والإبلاغ والتدريب بجانب المراجعة، والإجادة، وغيرها مما يدل علي أن مادة الكلمة في الجذر الصرفي أو اللغوي لم تنحصر في معني التلاوة كما زعم الحداثيون، فتقول العرب قرأ الكتاب يريدون أنه تتبع كلمات الكتاب من غير نطق بها، وقرأ الآية من القرآن، نطق بألفاظها، وجبريل أقرأه (عليه السلام) قراءة أبلغه إياها، واستقراءه طلب إليه أن يقرأ[(٢)].

ومن ثم فإن مزاعم الحداثيين بأن مادة القرآن الكريم لا يجيء إلا علي معني التلاوة، وليس التدوين، إنما هو اتجاه خاطئ دال علي عجز هؤلاء عن تتبع الآيات القرآنية، ويدلنا عليه أن ابن منظور في لسان العرب ذكر أن القرآن هو

---

(١) راجع المهندس عبد المنعم الغروري، خلو القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية، ج١، ص٢٥، جمعية الأدب والفكر المعاصر، القاهرة.

(٢) راجع المعجم الوجيز، حرف القاف، ص ٤٩٤-٤٩٥، مجمع اللغة العربية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

التنزيل العزيز، وأن القرآن يسمي كلام الله تعالي الذي أنزل علي قلب النبي (ﷺ) يسمي كتاباً قال تعالي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[(١)]، ويسمى قراناً، قال تعالي: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[(٢)]، كما يسمى فرقاناً، قال تعالي:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[(٣)].

ومن القرآن الجمع وسمي قرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وبالتالي فلم يؤخذ لفظ القرآن من الفعل قرأن، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل[(٤)].

ومما يدل علي أن القرآن ضم وجمع ما ذكره أصحاب معاجم اللغة من قولهم قرأ الكتاب قراءة، وقراءناً بالضم جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمها[(٥)].

يقول د. الريسوني: "إن استقراء جذر المادة في المعجمات وتصريفها في اللسان مفض إلي حال واحد، هو أن للقرآن دلالتين: دلالة مادية تستشف القراءة في الكتاب، وهي مناط التسمية بالقرآن، أي أنه كتاب مقروء، والثاني دلالة معنوية هي الجمع والضم"[(٦)]، ومن هذه الناحية جاء قوله تعالي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[(٧)].

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٥).

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

(٣) سورة الفرقان الآية (١).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٢٨-١٢٩.

(٥) راجع المعجم الوجيز، حرف القاف، ص ٤٩٤-٤٩٥، مجمع اللغة العربية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٦) د. قطب الريسوني النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر، ص٢٢٨.

(٧) سورة القيامة الآية (١٧).

أخلص مما سلف إلي أن القول بانعدام قدسية القرآن، وما يأتي بعده دال علي خراب عقول أصحابه عن قواعد العلم التي يمكن أن ينبته إليهـا ذوي العقـول الصحيحة والنفوس السليمة.

والحمد لله رب العالمين



تدور الخاتمة لأي بحث علمي في إطار جوانب ثلاثة:

أولها: ما يتعلق بأهم النتائج، نظراً لأن كل بحث علمي لابد له من نتائج تعبر عنه في عبارات قصيرة، وترتيبات موضوعية،

ثانيها: أهم التوصيات باعتبارها المرآة التي تنعكس عليها الجوانب المستوفاة من الناحية العلمية، وتستهدف بلوغ غايات ربما لم ترد في البحث على نحو متكامل.

ثالثها: أهم المقترحات: وهي عبارة عن رؤوس موضوعات، تري الدراسة ضرورة استكمالها، فتقدم خدمة علمية، وسوف أتناول ما يلي:

أولا: أهم النتائج:

١- أن الخارجين على دين الله تعالى قديماً وحديثاً يمثلون فكراً غير مستقيما بقدر ما يعبرون عن العبث واللامعقول، أما لماذا؟ فلأن كل عمل سليم إنما ينتج عن عقل راشد، وذلك من شأنه القفز فوق أسس البحث العلمي، واللجوء إلى الأفكار ذات الصيغة الأساطيرية.

٢- أن الحداثيين ينطلقون من منزوعات لا تغيب عن ذي عقل راشد، ويجعلونها أسسا وقواعد في مواجهة الإسلام ديناً ورسولاً ورسالة نبيا وأمة، متابعين بعض المستشرقين الذين أظلمت عليهم عقولهم، وأسلمتهم إلى شياطينهم، فراحوا يرددون مزاعمهم، كأنها أبواق مسلمة تنادي بضرورة نقد القرآن الكريم، واعتباره كتاباً كباقي الكتب الإنسانية، يمكن أن يتوجه إليه النقد البشري بكل ما فيه من نقص وعوز واضطراب، وهذا مما لا يتناسب مع ما للقرآن الكريم من جلال، ولا مع الإسلام من عظمة، من حيث أنه دين الله الخالد الذي ارتضاه لكافة أجناس الأرض، بل لكل المخلوقات.

٣- أن الحداثيين في تعاملهم مع القرآن الكريم يسقطون عن عمد كـل مـا يتعلق بالنصوص الشرعية، والأحكام الفقهية المتفق عليها بـين جمـاهير أهـل السنة والجماعة، وهذا في حد ذاته كفيل بإعلان أن هؤلاء قد خرجوا بعيداً عـن الإسلام.

٤- أن الحداثيين في تقسيمهم القرآن الكريم وتعريفهم بـه، لـم يسـتوعبوا المنزل من عند الله، وإنما لجاؤا إلي أنواع من الجدل حفلت بها مفرداتهم، وقـد بان ذلك أثناء الحديث عن تعريفهم القرآن الكريم وتسـمياته، بـدليل أنهـم لـم يذكروا نصاً شرعياً يعتمدون عليه أو فكرة صحيحة يستندون إليها، وإنما هـي أوهام تصورتها عقولهم، تعبر عن فساد معرفي وأخلاقي وشرعي.

٥- أن تقسيمهم القرآن، وهو المعجزة الخالدة، إلي قسمين أحدهما: الشفوي، وثانيهما: المدون يكشف عن رغبة دفينة في القضاء علي الإسلام وأهله، وهـي خطيئة كبري لمن يقع فيها؛ لأن القرآن الكريم مكتوب في المصحف، وقد جمع المتن والمعني، فلا يجوز تقسيمه إلي قسمين أحدهما شفوي، وثانيهمـا المـدون إنما هو قرآن واحد بقراءاته الصحيحة.

٦- أن أدعياء الحداثة برزت لهم شبهات متنوعة، بعضها قام علـي فكـرة الاستعجام وأخري علي الغموض، وثالثة الصعوبة، وقد فاتهم أن القرآن الكريم معجز كله، واضح كله آياته بينات محكمات، قال فيه منزله:﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[(١)].

٧- أن الحداثيين وهم يطعنون الإسلام في مصادره إنمـا يسـقطون آفـات غيرهم علي المصادر الإسلامية، زاعمين ضرورة أن تكون هناك مساواة فـي

(١) سورة فصلت الآيتان (٤١-٤٢).

كل ما يرد، سواء أكان ذلك في التوراة أو الإنجيل أو غيرهما مما يعتبره بعض أصحابه مقدساً، مع أنه لدى الغالبية العظمي غير مقدس.

٨- أن الحداثيين وهم يحاولون محاكمة النص المنزل إلـــي معـــارف غيـــر يقينية جرت فيها البناءات العبثية، وتمت صياغتها علي ناحية غير سوية، إنمـــا يفعلون منكراً من القول وزوراً، ويهدفون إلي خدمـــة غيـــر ديـــن المســـلمين، فمعجزة القرآن الكريم لا تخضع للنقد مهما كان عاليـــاً؛ لأن النقـــد بموازينـــه صناعة بشرية تحاكم الألفاظ والمفردات اللغوية في جانب معرفي يتم قبولـــه أو رده، أما القرآن الكريم فهو كلام الله تعالى الأزلي، ولا يمكن أبداً أن يناله شيء من النقد البشري؛ لأنه أعلي من كل وجوه النقد، ولو قبـــل النقـــد لوقـــع فيـــه الاختلاف، ولما كان من عند الله القائل:﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[1].

٩- أن قداسة القرآن الكريم تتجاوز أحكام الغموض، والاستعجام، والبناءات النصية إلي غير ذلك مما يردده الحداثيون، أما لماذا؟ فلأن القرآن نفسه شـــاهد علي فساد شبهات هؤلاء وأقوالهم ومواقفهم، وبـــين أنـــه ﴿**تَنْزِيـلٌ مِـنْ حَكِـيمٍ حَمِيد**﴾[2]، وهو في ذات الوقت:﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِـينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِـينٍ**﴾[3]، فلا مجال لما قالوا بـــه، وتابعوا فيه خصوم الإسلام، وكان الواجب عليهم الترفع عنه، بل الانخراط بين طوائف المسلمين العاملين لا الأدعياء الكاذبين.

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٣) سورة الشعراء الآيات (١٩٢-١٩٥).

١٠- أن كل ما زعمه هؤلاء واعتبروه جديداً ثبت أنه من فضلات سابقيهم التي عفا عليها الدهر، وليس أدل علي ذلك من أن القرآن الكريم نفسه ذكر كثيرا من سلوكيات معاصريه الكافرين الذين كانوا يتواصون بهتك حرمات الشرع الشريف قال تعالي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[١]، كما أن مواقفهم من إعجاز القرآن الكريم بأن لها جذور سابقة عرضت ووقف لها مفكرو المسلمين الأوائل ببيان وجوه فسادها وخروجها عن دوائر العقول السليمة، فكتب الرماني، والزركشي، والعكبري، والزجاج، والقاضي الباقلاني والغزالي، والرازي، وغيرهم ردوداً علي شبهات أسلاف هؤلاء مستخدمين طريقة البيان من غير لف أو افتعال حتى صارت مؤلفاتهم في إعجاز القرآن الكريم، ورد شبهات أولئك مصادر إعجاب، وبالتالي فحداثيو العصر الذي نعيش فيه عالة علي أفكار أسلافهم الذين خرجوا علي دين الله، وكل إناء بما فيه قائم.

١١- أن موقف الحداثيين من العرب قد دفعوا إليه بأوهام تم تسويقها علي أنها أفكار علمية، أو نتائج لدراسات قابلة للتطبيق، ولو فطنوا إليها لأدركوا أنها يمكن تصويرها في موقف واحد هو العبث واللامعقول، والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

١٢- نبه مفكرو المسلمين إلي أن ما يقوم به حداثيو اليوم، هو ذاته الذي قام به سابقوهم من الطعن علي معجزة القرآن الكريم تجمعهم غاية الوصول إلي الطعن في النبوة الخاتمة تطبيقاً لأفكار اليهود الذين ينكرون نبوة أحد بعد موسي (عليه السلام)، وأفكار من ينسبون أنفسهم للمسيح الذين يقررون أنه لا نبوة بعد رسل المسيح، وكلاهما يعلن انتظار مسيح يقود العالم، ويحقق لهم أمجادهم التي

---

(١) سورة فصلت الآية (٢٦)

تغنوا بها ورنموا، ولن يكون لهم، بل نبوة سيدنا محمد (ﷺ) هي الخاتمة القائمة إلي يوم الدين، قال تعالي: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[(١)].

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة الالتفات إلي العبث الذي يقوم به الحداثيون في العالم الإسلامي، وبيان فساده؛ لأنهم يحملون أسماء إسلامية، فإذا ألقي فسادهم إلي غير متمكنين من العقيدة ربما اعتنقوه، أو اعتقدوه، فضلوا وأضلوا، وهنا تكون الطامة الكبرى؛ لأن معناه أن يقضي أبناء المسلمين علي أهليهم، والإسلام معا.

٢- اعتبار ما يردده الحداثيون علي المستوي المعرفي محل إنكار، أما لماذا؟ فلأن التحذير منهم قد جاء به النقل المنزل في قوله تعالي: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، وهم في ذات الوقت قد يملكون وسائل إعلامية تعينهم علي بث تلك السموم، وإذا حذر المجتمع منهم وطواه الزمن بين طياته صار نسياً منسيا.

٣- السعي لدي وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمكتوبة وغيرها حتى تقدم برامج إعلامية هادفة تضيق علي هؤلاء منافذهم وتمنع مشاربهم، فذلك خير وأبقي من ترك الحبل لهم علي الغارب فيضلون ويضلون.

٤- الرفع إلي المنصات العنكبوتية ببرامج علمية مدروسة تخاطب أهل الإسلام أينما كانوا، وتعينهم علي مقاومة التيار الإلحادي الذي يتبناه الحداثيون وينزعون إليه، ففي فضحهم حكمة، والقاعدة أنه ليس لفاسق غيبة.

(١) سورة الصف الآية (٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (٧٣).

٥- إعلان متواصل وتحذير لا ينقطع، عبر الوسائل المختلفة حتى يحذر الجميع تأويلات الحداثيين الفاسدة، وتصوراتهم الساذجة، وبيان أنهم ليسوا علي هدي أبداً، وفيهم قال الله تعالي: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١).

ثالثا: المقترحات:

١- موقف الحداثيين من عقيدة ختم النبوة" دراسة نقدية".

٢- علاقة حداثيي العرب بالمستغربين "دراسة تنظيرية"

٣- خطر الحداثيين علي عقيدة البعث.

٤- علاقة الحداثيين بالاستشراق وخطره علي عقيدة الألوهية.

٥- دور المستغربين في إشاعة الإلحاد الديني إبان القرن العشرين.

٦- موقف المفكر المسلم من شبهات المستشرقين "مصطفي صبري نموذجاً".

٧- موقف المفكر المسلم من شبهات المستشرقين "محمد بن محمد أبو شهبة نموذجاً".

٨- خطر المستغربين علي دين رب العالمين.

٩- التأويل الحداثي للنصوص النقلية، ودوره في الإلحاد المعاصر.

وبعد فإن أكن وفقت فمن فضل الله وهو سبحانه صاحب الفضل والمنة، وإن تكن الثانية فأسأل الله جبراً لا يعقبه نصب، وستراً لا يبلغه عصيان الله أبداً.

---

(١) سورة فاطر الآية (٨).

المصادر و المراجع

هنا ملاحظة وهى أنني سأكتفى بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب، أما باقي التوثيق فموجود بهوامش الصفحات.

١) إبراهيم –أ. محمد نصر، الحداثة مفهوم حداثي.

٢) ابن عاشور– عياض، الضمير والتشريع العقلية المدنية والحقوق الحديثة.

٣) ابن كثير– الإمام ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير.

٤) ابن كثير– الشيخ ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" تحقيق: أبو عمر ناصر الدمياطي.

٥) ابن ماجة – سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦) ابن منظور– لسان العرب.

٧) أبو زيد– نصر حامد، الإمام الشافعي وتأسيس الايدلوجية الوسطية.

٨) أبو زيد– نصر حامد، مفهوم النص دراسة في مفهوم القرآن.

٩) أبو زيد– نصر حامد، نقد الخطاب الديني.

١٠) أركون – محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

١١) أركون– محمد، القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني.

١٢) أركون– محمد، قضايا في نقد العقل الديني.

١٣) أركون– محمد، تاريخية الفكر الإسلامي.

١٤) أركون– محمد، الفكر العربي.

١٥) أركون– محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل.

١٦) أركون– محمد، قضايا في نقد العقل الديني.

١٧) أركون– محمد، نافذة علي الإسلام.

١٨) الأصبهاني- الشيخ: أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
١٩) الألباني- الشيخ: ناصر الدين، التوسل أنواعه وأحكامه.
٢٠) الأمريكاني- د. جورج فورد الأمريكاني، سيرة المسيح.
٢١) الباقلاني- القاضي أبو بكر، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به.
٢٢) البخاري- الأمام أبو عبد الله، صحيح البخاري.
٢٣) البصرى - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن.
٢٤) أنس- الإمام أبو عبد الله مالك، الموطأ.
٢٥) بدوي- د.عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين.
٢٦) البشيرة- زكى مصطفى محمد، دعوى تاريخية النص القرآني عند الحداثيين العرب.
٢٧) بلاشير- المستشرق ريجى، القرآن- نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره.
٢٨) بوزيد- بومدين، الفكر العربي المعاصر وإشكالية الحداثة.
٢٩) البيهقي- الإمام: أبو بكر، شعب الإيمان.
٣٠) الترمذي- الإمام: أبو عيسي، الجامع الكبير.
٣١) الترمذي- الإمام: أبو عيسي، سنن الترمذي.
٣٢) التفتازاني- الإمام: السعد، مقاصد الطالبين.
٣٣) تورين- ألان، نقد الحداثة.
٣٤) تيزيني- طيب، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة.
٣٥) الجابري- محمد عابد، مدخل للقرآن.
٣٦) الجرجاني- الشيخ السيد الشريف، التعريفات.
٣٧) جعيط- هشام، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة.

٣٨) جمال الدين– د. محمد السعيد بن السيد، الشبهات المزعومة حول القــرآن الكريم.

٣٩) الجندي– أ. أنور، الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون.

٤٠) الجونغوري، الشيخ: عبد الرشيد، الرسالة الرشيدية علي شــرح الرســالة الشريفية.

٤١) الجوهري –العلامة: إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية.

٤٢) جيد– القمص أنور، البيت السماوي.

٤٣) حجازي– د. عوض الله، "المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم.

٤٤) حرب – أ. علي، نقد النص.

٤٥) الحفيظي– الشيخ الصاحبي محي الدين، الإيضاح لقوانين الاصطلاح فــي الجدل والمناظرة.

٤٦) الخبازي– العلامة جلال الدين عمر بن محمد، الهادي في أصول الدين.

٤٧) خليل– أ. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام.

٤٨) دراز– د. محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن.

٤٩) الرازي– الإمام: الفخر، مفاتيح الغيب.

٥٠) الرازي– الإمام: الفخر، الاشارة في أصول الكلام.

٥١) الريسوني– د. قطب، النص القرآني من تهافت القراءة إلي أفق التدبر.

٥٢) رؤوف– القمص نجيب، مع المسيح في البيت السماوي.

٥٣) ريان– محمد رشيد، الحداثة والنص القرآني.

٥٤) الزرقاني– الشيخ: أبو عبد الله محمد، شرح الزرقــاني علــى المواهــب اللدنية بالمنح المحمدية.

٥٥) الزرقانى – لشيخ: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان فى علوم القرآن.

٥٦) الزمخشري – أبو القاسم بن جار الله، أساس البلاغة.

٥٧) زيد- د. أحمد محمد، تيار الحداثة.
٥٨) السبتي- ابن خمير، مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين.
٥٩) سبيلا- أ. محمد، وعبد السلام بنعبد العالي الحداثة.
٦٠) السفاريني- الشيخ: شمس الدين، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية.
٦١) السقار- د. منقذ بن محمد، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين.
٦٢) سعيد- خالدة، الملامح الفكرية للحداثة.
٦٣) السهيلي- الشيخ: أبو القاسم عبد الرحمن، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام.
٦٤) سويلم- د. السيد أحمد، شبهات حول القرآن الكريم عرض.
٦٥) سيل- المستشرق جورج، مقال في الإسلام.
٦٦) السيوطي- الشيخ: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن.
٦٧) الشاطبي- العلامة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة.
٦٨) شحرور- محمد، الكتاب والقرآن.
٦٩) شلتوت- الشيخ: محمود، الإسلام عقيدة وشريعة.
٧٠) الشوكاني- العلامة: محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
٧١) الصابوني- أ. محمد علي، صفوة التفاسير.
٧٢) الصاحبي – العلامة: أحمد بن فارس، فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها.

٧٣) صالح – هاشم، تعليقات علي كتاب القرآن من التفسير بالموروث إلي تحليل الخطاب الديني.

٧٤) الصغير– د. محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية.

٧٥) الصنهاجي– أ. أنس، القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية الفرنسية بلاشير أنموذجاً.

٧٦) طلبة– د. محمود حسن، قراءات في الحداثة.

٧٧) طلعت– الشيخ: محمود، القرآن الكريم ووجوه إعجازه.

٧٨) العباقي– الحسن، القرآن الكريم والقراءة الحداثية.

٧٩) عبد الباقي– أ. محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف.

٨٠) عبد الجبار– القاضي: أبو الحسن، موسوعة المغني.

٨١) عبد العال– إسماعيل سالم، المستشرقون والقرآن.

٨٢) عبد الله– أ. محمد جمعة عبد الله، رد افتراءات المستشرقين على آيات القرآن الكريم.

٨٣) العسقلاني– الإمام: ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة.

٨٤) العمري– د. مرزوق، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي الغربي المعاصر.

٨٥) عوض– د. لويس، محاكم التفتيش.

٨٦) عبيد – د. حمدي عبيد، الحداثة.

٨٧) الغروري– المهندس: عبد المنعم، خلو القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية.

٨٨) فورد د. المستشرق جورج، سيرة المسيح.

٨٩) فوزي– د. محمود السيد، الفكر الحداثي في الميزان.

٩٠) الفيروز آبادي – العلامة: مجد الدين أبى طاهر، القاموس المحيط.
٩١) القرطبي– العلامة: أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن الكريم.
٩٢) القرني– د. عوض القرني، الحداثة في ميزان الإسلام.
٩٣) القطان– الشيخ: مناع، مباحث في علوم القرآن.
٩٤) الكتاني– محمد، جدلية العقل والنقل مناهج التفكير الإسلامي.
٩٥) كسل– ليوتا، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير.
٩٦) الليجبيري– دانتي، الكوميديا الإلهية.
٩٧) المباركفورى– صفي الرحمن بن عبد الله، تحفة الأحوذى.
٩٨) مالك– الإمام: أنس، الموطأ.
٩٩) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
١٠٠) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية.
١٠١) الملاحمي– الشيخ: محمود بن محمد، الفائق في أصول الدين.
١٠٢) النحوي– د. عدنان علي رضي، تقويم نظرية الحداثة.
١٠٣) النسفي– الإمام: أبو المعين، التمهيد لقواعد التوحيد.
١٠٤) النسفي– الشيخ: أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
١٠٥) النيسابوري– الإمام: مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم.
١٠٦) الهمذاني– الشيخ: عبد الرحمن بن عيسي، كتاب الألفاظ.
١٠٧) واطسن – المستشرق: جورج، الحداثة منطوق حداثي.
١٠٨) وطفة– أ. علي، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة.

الفهرس العام

